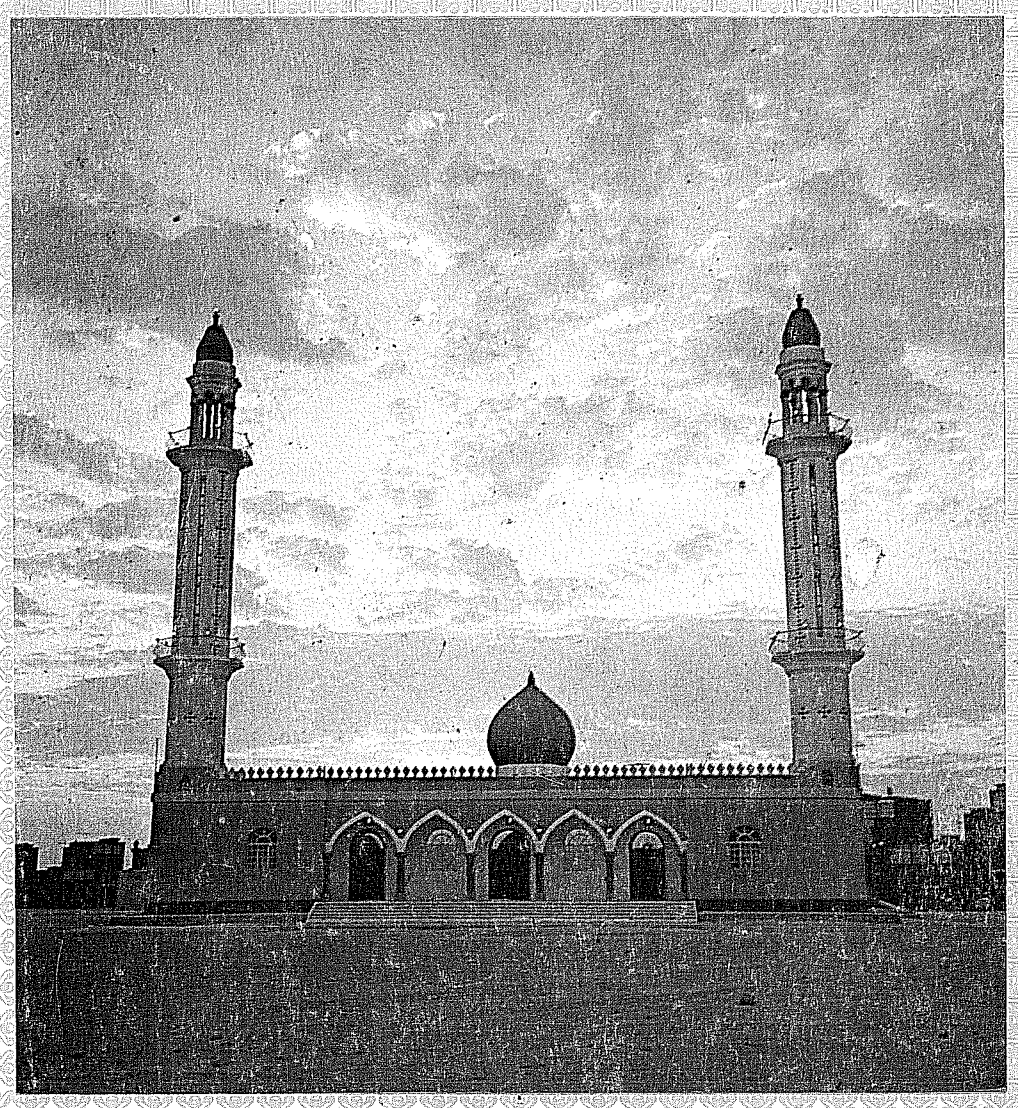
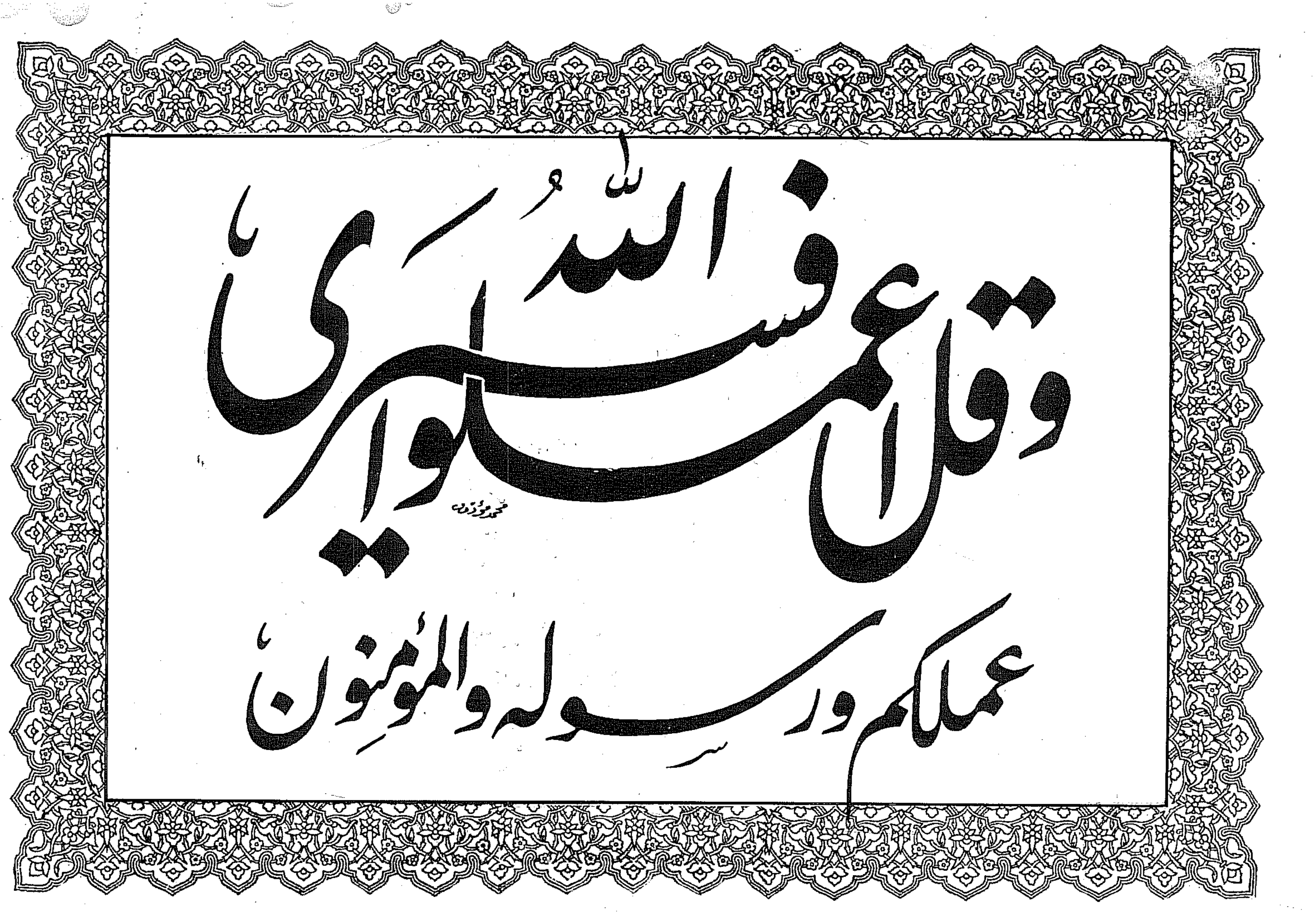
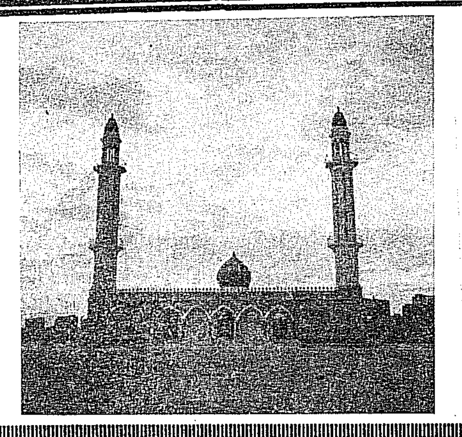
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ــ العدد ١٠١ ــ غرة جمادى الأولى ١٣٩٣هـ ٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٣ م




وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون



مسجد مدينة عيسى

بناه أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة عام ١٩٦٨ م .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠١)

غرة جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ

٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

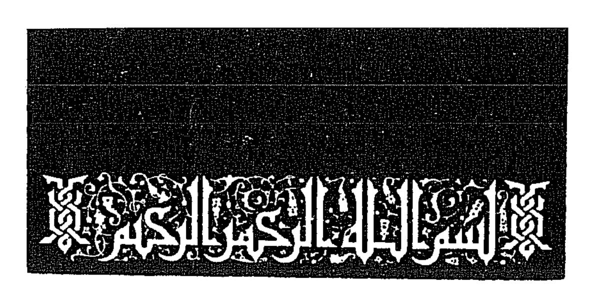
الثمن :

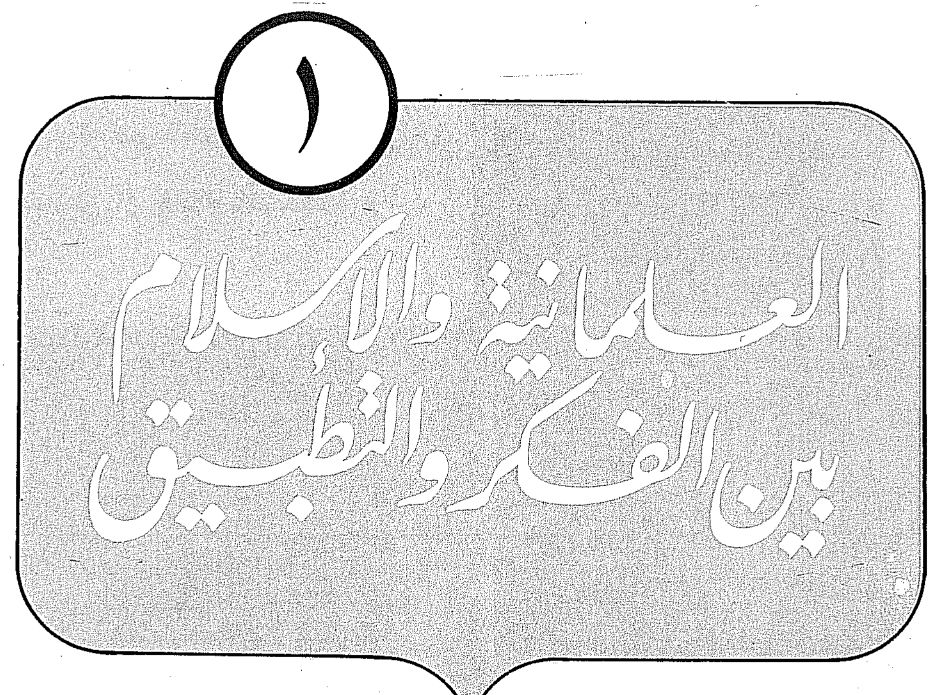
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨





العلمانية في مرحلتها الأولى من الفكر الأوروبي وهي تمثل التنافس على السلطة

للدكتور محمد البهى

العلمانية والاسلام .. بين الفكر والتطبيق

مقــــدمة :

يفرض علينا الاجنبى ــ منذ الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر : « موضوع التفكير » ويجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا فى

متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا ، أو نتركها عن قصد . وربما نتركها متحدين إياها ، وجاهد ين فى حمل الآخرين منا على الترغيب عنها :

فرض علينا « العلمانية » فى تعليمنا فى مدارسنا وجامعاتنا ، وفرضها علينا فى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضها علينا فى سياستنا ، وفرضها علينا فى اقتصادنا .. ففصل بين الاسلام وحكم الدولة ، وأبعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه فى داخل المسجد وفى قلوب الناس ، يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية ان يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف .. يحاول ان يفرض علينا الغاء الدين عقيدة ، بعد ان طمست معالمه عملا فى أوضاع المسلمين .. يحاول ان يصل بنا الى ما يسمى : « الالحاد العلمى » وهو مرحلة من مراحل العلمانية كى تصل عن طريقه الى مجتمع غير طبقى !! .

يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلة ازدواج السلطة ، وكحل آخر لتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية .

هل المجتمع الاسلامى فى ظل الاسلام ومبادئه : فى الحكم والسياسة ، وفى نظرته الى الانسان ، وفى تحديد منهج السلوك له .. تنشأ له مشكلة تتعين العلمانية حلا لها ؟ أم أن العلمانية كحل تتطلب أن نستورد من الأجنبى عنا مشكلته أولا ؟ فان صعب استيرادها فلنتصورها على الأقل ، وتكون العلمانية عندئذ حلا لوهم وليست لحقيقة قائمة فعلا ؟

ان هذا البحث يحاول الإجابة عن هذين السؤالين .

أ ـ العلمانية ـ والإسلام : فى الفكر :

■ الإنسان فى ظل مبادىء الاسلام لا يرتفع الى مستوى الألوهية والقداسة فى التقدير ، كما لا ينزل الى مستوى الحيوان فى السلوك والمعاملة .. ولا يعصم عن الخطأ فى الحكم والرأى والسلوك ، بل كما يصيب : يخطىء .. والوظيفة العامة التى يتقلدها الانسان ـ أيا كانت منزلتها ـ لا تغير من خصائص طبيعته البشرية .. وحكومة الاسلام فى تطبيق مبادئه ليست الهية ، بل هى بشرية تخضع للنقد ، وتقبل الشورى والمطالبة بها .. ورأى الانسان (أو اجتهاده) لا يلتزم به الا الانسان صاحب الرأى نفسه .. وإمام المسلمين أو رئيس دولتهم هو بحكم نظام الإسلام فى الخلافة من الخيرة بينهم : ايمانا بالله ، ومعرفة بمبادىء الاسلام ، وأكثرهم تجنبا للظلم والاعتداء ، واحقاقا للحق واقرارا للعدل .

والعلمانية اذن ليس لها مكان فى وجود الانسان مع الاسلام . فاما ان يوجد الاسلام ولا علمانية ، أو توجد العلمانية ولا اسلام . والعلمانية فى تصور بعض المسلمين المعاصرين وفى محاولتهم التوفيق بينها وبين الاسلام فى مجتمع اسلامى .. تعود الى قصور فى تصور الاسلام ، ثم الى رغبة فى محاكاة حلول فى

تفكير الغرب ، لمشاكل كانت وليدة البيئة الغربية ، ونتيجة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة فى كل جوانبها فى المجتمع الأوربى .

ان العلمانية على غير قياس الى العالم ـ أو العالمية Secularism هى نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية .. هو اعتقاد بان الدين والشئون الاكليركية (اللاهوتية والكنسية) والرهينة لا ينبغى ان تدخل فى أعمال الدولة ، وبالاخص فى التعليم العام . والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية ، أو من الاستعمال الدينى الى الاستعمال المدنى .. هو التخلص من سلطة الرهينة والعهد الرهبنى .. هو التحول الى الانتماء المدنى .

... والعلمانى Secular : هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية . ومنه الموسيقى الدنيوية مقابل الموسيقى الدينية أو الكنسية ، والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسة الاكليركية .

فى المجتمع الأوربى :

■ وهنا اذن : ثنائية المجتمع الأوربى .. هنا دولة ـ وكنيسة .. هنا مدنى ـ ودينى .. هنا حياة دنيوية غير مقدسة ـ وحياة أخرى كنسية لها قداستها .. هنا دولة لها سلطة وتريد ان تتوسع فى سلطتها . وهنا كنيسة لها سلطة كذلك وتريد ان تحافظ على الأقل على سلطتها فى مواجهة سلطة الدولة . وهنا حياة مدنية ودنيوية تخضع للتغيير والتطور . وهنا حياة دينية كنسية فى منأى عن التغيير والتطور .

هذا مشكل لا يبرز اشكاله الا وقت ان يتخاصم الطرفان ويمتنع أى منهما عن أن يخضع للطرف الآخر ، بسبب من الأسباب .

كانت الكنيسة تكاد صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى فى اوربا .. حتى ابتدأ الانسان الأوربى يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعى . ثم يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية .. وأخذ يعتز بنفسه يوم استخدم قوة البخار فى الصناعة .. ثم كلما اكتشف قوة أخرى كلما ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها ، وكلما اتهم الكنيسة ونال من دين الكنيسة . فزادت اتهاماته بعد أن عرف قوة الكهرباء ، وفجر الذرة ، وبحث الفضاء . وهو اذ يوجه اتهاماته للكنيسة وينال من دينها لم يكن ذلك بناء على ادلة علمية يقينية توجب ابعاد المسيحية . وانما فى الأغلب يستهدف من كثرة الاتهام والنيل .. المحافظة على حريته فى حركة البحث وفى السلوك فى ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة وعن رأى رجال الاكليروس فيها .

والذين كانوا يوجهون الاتهامات الى الكنيسة وينالون من المسيحية فى عصر من العصور بعد القرون الوسطى ـ وبالأخص من القرن السابع عشر ، الى القرن التاسع عشر ـ لم يسلموا من المعارضة .. والمعارضة العلمية القوية . فالقوانين مثلا التى قامت عليها الماركسية فى القرن التاسع عشر ـ وكانت نظرتها الى الكنيسة والدين اشد مراحل العلمانية عنفا ضد الكنيسة والدين

ـ هذه القوانين لم تسلم لها من الوجهة العلمية :

١ ــ فنشأة الأنواع وتطورها ــ كما نذكر عند : داروين Darwin (١٨٠٩ ــ ١٨٨٢) ــ و Haeckel (١٨٣٤ ــ ١٩١٩) هيكل .. بقيت حتى الآن لغزا ، كما كانت ، ولم تصبح قانونا علميا ، كما ادعت الماركسية وأسست عليها تفكيرها .

٢ ــ والأصل الميكانيكى الذاتى ، الذى يؤكد أن الحياة كلها ، من : عقلية ، ونفسية ، وسلوكية صادرة عن « مادة » عضوية فى الانسان .. هذا الأصل لا يعتبر من الحقائق العلمية فى نظر كثير من الباحثين .

٣ ــ والمادية كمذهب تحت اى عنوان .. انتهى امرها اليوم ، على الأقل فى ميدان البحث العلمى . وبالأخص : جعل الاقتصاد اساس الحياة الانسانية فى جميع اتجاهاتها .. نقضه ماكس فيبر Max Weber (١٨١٤ ــ ١٩٢١) فى كتابه : « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة اجزاء سنة ١٩٢٠) بالدين عند الهنود، والصينيين ، واليهود .. والمجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى وصلته بالتفكير الكنسى .. والرأسمالية وتأثرها بتعاليم كالفن : (١٥٠٩ ــ ١١٥٦٤) .. وبالحقائق الرياضية والمنطقية وعدم صلتها بأى اساس مادى .

■ مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدنيوى غير المقدس ، والكنسى المقدس تصور حملة بعض المفكرين فى أنه يجب أن يكون الحل النظرى على الأقل ــ فى توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين : يكون للدولة مجال ، وللكنيسة مجال .. تكون للدولة الشئون السياسية والاقتصادية والتعليمية ، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ، وتكون للكنيسة شئون الأسرة فى مراسيم الزواج ، وطقوس الوفاة ، ونظام الرهبنة والاكليروس ..

وهذا التقسيم ، أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم « العلمانية » . وقد مر فى التفكير الأوربى بمرحلتين :

١ ــ المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة :

وهى مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة . وهى مرحلة القرن التاسع عشر . وقد بلغت قمتها فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى .

فالمرحلة المعتدلة ان اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ، فان على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة .. وبالأخص فى جباية ضرائبها . وأن طالب التفكير العلمانى فى هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فانه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وان كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادىء الطبيعة ، مما نشأ عنه ، ذلك المذهب المعروف باسم : Deism .. وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ، ولكنه ينكر : الاعجاز ، والوحى ، وتدخل الله فى العالم ومن اتباع هذا المذهب :

١ ــ Voltaire فولتير (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨) فى فرنسا .
٢ ــ Shaftesburg شفتسبرى (١٦٧١ ــ ١٧١٣) فى انجلترا .
٣ ــ Lessing ليسنج (١٨٧٢ ــ) فى المانيا .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربى الأدبى : الفيلسوف الانجليزى لوك Loke (١٦٣٢ — ١٧٠٤) : فهو يرى أن الدولة الحديثة التى رفعت عن شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر الى كل اعتقاد دينى على انه راى شخصى ، والى كل رفقة فى الدين على انه ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالاقلاق أو التخريب .

وقد شارك ليبنيز Leibniz (١٦٤٦ — ١٧١٦) لوك — كى يكون الوحى المسيحى مطابقا للعقل — فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية : كعقيدة : التثليث ، وعقيدة : الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح ، على أن يصبح الوحى الالهى للانسان عامة هو : القوانين ، والمبادىء وليس ما وراء الطبيعة ، كما وقع لموسى .

وبالرغم من أن يصبح الدين بعد هذا التعديل فى الوحى موضوعيا .. فانه يظل أمرا شخصيا ، يلتزم به الشخص وحده ، دون صلة بالدولة .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة فى العلمانية كذلك : الفيلسوف الانجليزى الآخر هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) : Hobbes

فهو يرى : أن الدولــة « عقــد » وأن عليها أن تسوق الانسان بالاكراه .. الى الانضمام الى هذا العقد . ودفع الانسان بالاكراه الى الانضمام الى عقد الدولة ناشىء عن نظرته الى الانسان على أنه : « أنانى » من طبيعته . على العكس من نظرة روسو Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨) الى هذه الطبيعة . فطبيعة الانسان فى نظر روسو .. هى طبيعة خيرة ، وأن الانسان اجتماعى باحساسه . ولذا لا يدفع ، بل ينتظر منه : أن يشارك من نفسه فى الدولة كعقد اجتماعى ، لصالح الكل .

ويتحدث هوبز عن « سيادة » الدولة . فيجعل الدولة هى المصدر الوحيد للقانون ، والأخلاق ، وكذلك الدين . ويقول فى شأن ذلك : « لهذا أعلن ان سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتمل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ . فاذا كانت لا تحتمل فيجب تحريم انتشارها » .

وفى نظره فان ممارسة الدولة لسياستها هو لعب بقوة الأنانية المتجمعة . فالأفراد أنانيون بطبائعهم . ومن مجموع أنانيتهم تتكون قوة الدولة . والدول فى علاقات بعضها مع بعض يسود فيها وضع الطبيعة المسمى الآن بالسيادة . ومن أجل سيادات الدول فى نظر : هوبز .. يستمر الحرب . والقوة ، والمنفعة ، كلتاهما تحددان وحدهما طبيعة الجماعة .

ولتوضيح العلاقات بين الدول ، وأنها علاقات قائمة على استخـــلاص المنفعة واستخدام القوة يظهر التمثيل بالحيوان كشعار للدولــة فى فلسفــة الفلاسفة .

فعند هوبز : الذئب هو شعار الدولة .
وعند مكيافيلى : شعارها هو : الأسد والثعلب .
وعند اشبلنجر : شعارها هو : النسر .
وعند ليسنج : شعارها هو : القرد الجارح .

ومن حرص هوبز على سيادة الدولة : يعارض كل اتجاه يعارضها ، وبالأخص يتجه بمعارضته الى الكنيسة . والأمر عنده فى مخاصمة الكنيسة ليس

هو أمر التفتيش عن الحقيقة ، أو القانون ، أو الدين .. بقدر ما هو محافظة على قوة الدولة وسيادتها . وللدولة ــ أو للأكثرية ــ أن تفعل في نظره ما تهوى وما تريد . والانسان فى تمثيله للجماعة له : ان يستحسن ، أو يستقبح ما يشاء . وبذلك يعود الانسان من جديد مرة أخرى ــ بعد السوفسطانية فى الفكر الاغريقى القديم ــ الى أنه هو : مقياس الأشياء ومعيار القيم . وعلى هذا النحو تنظر الشيوعية الى الفرد . فهى ترى مغزى وجوده فى وجود الانسان العام : فى وجود « الوحدة الجماهيرية » .. فى وجود « الدولة » .. فى وجود « الحزب ».عن هذه النظرة تصل الشيوعية الى : الدولة المطلقة . ونظام الدولة المطلقة يجعل الدولة : هى المبدأ .. والمصدر الأخير لكل جانب من جوانب الحياة .

واندفاع هوبز الى التقدير الأعمى للانسان العام يعود الى خضوعه الى اتجاه المادية ، ورؤيته الحقيقة كلها ــ وليس بعضها فحسب ــ فى الماديات . ثم يعود أيضا الى ايمانه : بقانون الحركة الطبيعية بين الضغط ــ والدفع ، والسبب . والمسبب تلك الحركة التى تنشأ عن أسباب طبيعية خالصة فى تعليل الأحداث اذ عن طريق تأثر هوبز بالأمرين معا .. لم ير الا السيادة المطلقة للدولة فى تجميع الأفراد الأنانيين بطبيعتهم ، على العقد . كذلك يصدر رأيه عن هذا التأثر بوجوب معارضة الدولة للكنيسة فى سبيل احتفاظها بالقوة المطلقة ، وأيضا باستخدام الحرب مع دولة أخرى .

ولم يسلم هوبز من المعارضة القوية لرايه فى الدولة وفى معارضة سلطة الكنيسة . فقد قام فى وجهه فى انجلترا ما يسمى : بمدرسة كمبردج . ومن اقوى المعارضين له فى هذه المدرسة : رالف كودورث Ralf Culdworth (١٦١٧ ــ ١٦٨٨) : فقد عارض مذهبه الالحادى ، ورفض : أن تكون الأخلاقيات بحيث يمكن أن تنشأ عن الفهم الطبيعى ، كما يدعى هوبز . وأكد : أن هذه الأخلاقيات تتأصل فى المثل العليا فى العقل الالهى . والعقل الانسانى يسهم فيها عن طريق انه مخلوق لله .

ومن أنصار هذه المدرسة :

١ ــ صموئيل باركر Samuel Parker
٢ ــ هنرى مور Henri More
٣ ــ جون سميث John Snith

■ وأما الفيلسوف الانجليزى الآخر : هيوم Hume (١٧١١ ــ ١٧٧٦) فهو مع كونه ملحدا ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح .. الا أنه كرجل من رجال التقاليد فى انجلترا .. يبقى على اعتبار الدين ، كايمان فقط . فالدين فى نظره ليس علما . وانما هو احساس فقط .. احساس بالايمان بموجود قوى فوق الانسان .. هو احساس ناشىء عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب المخيف والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت . والوثنية هى الصورة الأولى لهذا الايمان .

■ وفى فرنسا ظهر الفيلسوف Jean Jecques Rousseau (١٧١٢ ــ ١٧٧٨) روسو : وهو يتفق مع هوبز فى ابعاد الدين عن الدولة وعن التربية على وجه أخص . ولكنه يختلف معه فى سبب المطالبة بابعاده . فهو فى فلسفته على

الضد من فلسفة هوبز .. هو انسانى وليس بمادى . ويستهدف فى فلسفته تقدم الانسانية وحريتها ، وسعادتها . ولكن بوسائل أخرى غير تلك التى نادى بها فولتير . فروسو كان من أصحاب القلب والإحساس ، بينما فولتير كان من أصحاب العقل والتفكير .

روسو يرى : أن الانسانية يجب أن تعود الى الطبيعة الأولية .. الى فضيلة المواطن .. الى سعادة الأسرة والمنزل . ولكن يقف فى طريق سعادة الانسانية ــ فى نظره ــ التناقض بين الطبقات ، والطبقة الحاكمة ، وكل المنظمات التى تحتفظ بالقوة المسيطرة وتسعى الى الاحتفاظ بها من : مدنية ، وكنسية .

وبالرجوع الى الطبيعة الأولى وحدها ــ فى نظره ــ توجد بين الناس : المساواة ، والحرية ، ولذا : الناس اخوة .. وليس بالرجوع الى الثقافة ، والمدنية ، ولا الى المجتمع الذى يحمل ذلك .

وبسبب الحرية والمساواة .. يعطى روسو : الكلمة الديمقراطية الراديكالية وسيادة الشعب ، بدلا من تعاليم : الدولة المطلقة عند هوبز ، وبدلا من الملكية الدستورية للنموذج البريطانى عند مونتسكى Montesquieu (١٦٨٩ ــ ١٧٥٥) . وفى نظره ليست هناك حاجة الى نيابة برلمانية ، طالما تكون القوة الحقيقية للشعب . ويكفى من وقت لآخر : ان يقترع الشعب على بيان يعلن عليه . والا لا تكون القوة فى الواقع لهؤلاء الناس الطيبين ، ولا للشخصيات الحية فى أصلها التى تصنع الدولة . وانما تكون القوة عندئذ لتلك المؤسسات الثقافية الجامدة ، ولتلك الاحزاب ، والطبقات ، والمنظمات التى تنمو وتتعاظم فوق رءوس الشعب وتسلبه حريته ، معتمدة على تجاربها .

فالدولة هى الشعب نفسه . ولا ينبغى أن ينظر الى الشعب الا على أنه اتحاد اجتماعى حر (عقد اجتماعى) صادر عن ارادة المواطنين ، الذين هم كذلك ليسوا شيئا آخر سوى : أنهم مواطنون ، متساوون ، أحرار ، طيبون .

وفى التربية ــ للمحافظة على الوضع الطبيعى الأصيل للانسان ــ يجب أن يترك التلميذ حرا ، بدون اكراه له من الخارج .. يجب أن يتبع ما له من استعدادات وطاقات ذاتية : بحيث ينشأ صادقا فى حسه ، وطبيعيا مع خصائصه وللمحافظة على ان يكون طبيعيا فى نموه يجب ابعاد غير الطبيعى من ، القوى : الثقافية ، والعادة ، والقانون ، وكذلك تعليم المسيحية الخاص « بالخطيئة الموروثة » . « فكل شىء من صنع الخالق عندما يخرج .. هو حسن ، وكل شىء يقع تحت أيدى الانسان .. ينحط ويتغير » .

هذه هى الجملة الأولى فى كتابه التربوى : « أميل » . وفى هذا الكتاب يركز روسو على الطبيعة ويجعلها وحدها هى العامل الفاصل . **كما يجعل الدين فى التربية أمرا ضد الطبيعة** . فالايمان فى اكثر الناس هو أمر جغرافى ، ويتعلق بالانسان وحده : هل هو ولد فى مكة ، أو فى روما .

وروسو على وجه التأكيد ضد تلقين الأطفال الحقائق الميتافيزيقية ، التى لا يمكن أن تدرك بالحس . ولذا ــ من وجهة نظره ــ ينبغى الا يتبع الطفل حزبا دينيا . ولكن يمكن من الاختيار بنفسه ، على أساس من عقله الخالص .

وفى الوقت الذى يتجه روسو فيه ضد الالحاد يتجه أيضا ضد الأدلة الميتافيزيقية على وجود الله ، التى يحتضنها علم اللاهوت الكنسى . فالله ــ فى

نظره — **ليس موضوعا للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للاحساس والقلب .** والايمان بالفضيلة والخلود هما : الدين الصادق .

■ ليسنج Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) والدين :

والدين فى نظر ليسنج ليس شيئا نهائيا . ولكنه يكون مرحلة يقوم عليها طريق الحياة للانسانية . والأديان كلها تقع فى مجال التطور — ككل ما يقع فى التطور — ويجب أن تخطو الى ما هو افضل وأحسن . وفى الأديان الكبيرة يستهدف الله توجيه الانسانية الى ما هو حق وصح . وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقض ، وانما هناك سعى نحو الحقيقة .

★ ★ ★

وفى هذه المرحلة الأولى للعلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .. هذه المرحلة التى تعتبر معتدلة نوعا ما عن المرحلة التالية .. تكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين والدولة فى الأسباب الآتية :

أولا : — الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة ، فى مواجهة الكنيسة ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان ، كما هو واضح عند : هوبز .

وثانيا : — اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل — كعقيدة التثليث، وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح — كما يرى فى فلسفة : لوك ، ولينتز ، وفى محاولتهما — مع آخرين — لتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل ، كما يدعى ، وتسمية ما يخضع للعقل باسم : دين العقل .

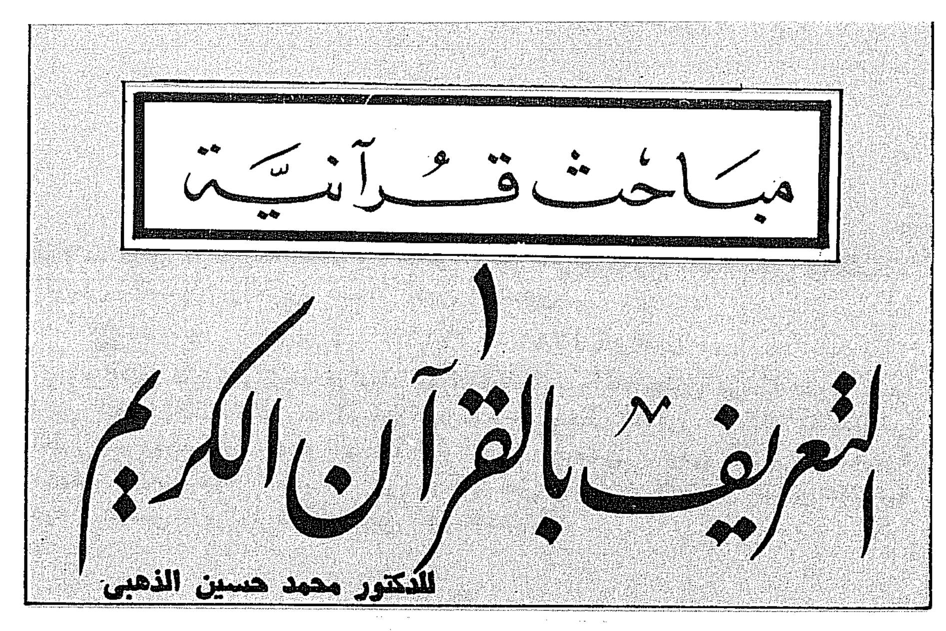
وثالثا : — النظر الى الدين فى التربية على أنه ضد « الطبيعة » كما فى نظرة روسو اليه ، بناء على تعليم المسيحية : « بالخطيئة الموروثة » .

ورابعا : — اعتبار الدين أمرا متطورا ، وليس بنهائي ، كما يراه ليسنج ، وبالتالى : حقائقه حقائق متغيرة وقابلة للنقض .

واذا كان هوبز قد كشف واضحا فى فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة .. وهو عامل يتصل بالتنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، أكثر منه عامل يبرر عزل المسيحية عن الحياة الانسانية العامة ، فان العوامل الثلاثة الأخرى تتجه الى نقد الدين ، وهى وان اتجهت الى نقد الدين والنيل من تعاليمه ، ولكنها تتجه فى واقع الأمر الى تفسيرات فى المسيحية أصبحت تقليدا وعقيدة لبعض كنائسها . ولكن جوهر المسيحية لا يخرج عن كونه دعوة للروحية الانسانية فى مواجهة المادية التى طغت فى آخر عهود الموسوية .

(للبحث بقية)

★ ★ ★



للدكتور محمد حسين الذهبي

المشهور بين علماء اللغة : ان لفظ القرآن — فى الأصل — مصدر مشتق من قرأ . يقال : قرأ قراءة وقرآنا ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه »(١) — أى قراءته .

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علما شخصيا (٢) على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن ، بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، والمنقول إلينا بالتواتر .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيودا اخرى مثل : المعجز ، أو المتحدى بأقصر سورة منه ، أو المتعبد بتلاوته ، أو المكتوب بين دفتي المصحف ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

والواقع أن التعريف الذى ذكرناه آنفا تعريف جامع مانع ، لا يحتاج الى زيادة قيد آخر ، وكل من زاد عليه قيدا أو قيودا مما ذكرناه ، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التى يتميز بها عما عداه .

ومعلوم ان للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهى أو غير إلهى ككونه معجزا أو متعبدا بتلاوته .

ومعلوم ايضا — ان للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته ، ولو انها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآنا ، وذلك كوصف كونه عربيا الذى يشاركه فيه الحديث النبوى والحديث القدسى ، وكوصف كونه متواترا الذى يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية .

ونرى لزاما علينا أن نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشىء من التفصيل والايضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآنا :

١ — فمن خصائص القرآن كونه معجزا ، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه او لأى إنسان وبأى لسان .

٢ — ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبدا بتلاوته ، فقراءة ما تيسر

منه ركن من أركان الصلاة لا تتم بدونه وأيما صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهى باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة ايضا ، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية ثابتة لشىء آخر من الكتب السماوية او غيرها .

وعلى هذا فالحديث القدسى ليس قرآنا على الصحيح من كونه منزلا من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما : الإعجاز والتعبد بتلاوته ، كما فقد عنصرا آخر يأتى بعد ، وهو التواتر .

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر — وما أظن ذلك — فانها لا تكون قرآنا ايضا لفقدها العنصرين السابقين معا ، مع أن فقد واحد منهما كاف فى تخلف وصف القرآنية عنها .

٣ — ومن صفات القرآن التى لا تنفك عنه ، كونه عربيا ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك :

« وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »(٣) .

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها »(٤) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »(٥) .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين »(٦) وعلى هذا فأى خروج بالقرآن الكريم عن لفظه العربى المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية .

وإذا فتفسير القرآن الكريم ، وترجمته الى غير العربية — مهما روعى فيهما المحافظة على معانيه ومراميه — لا يعدان قرآنا ، ولا يكون لأى منهما ماللقرآن من حرمة وقداسة(٧) ، ولا ما فيه من خاصية التعبد به وروعة الإعجاز ، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله الى كونه كلام البشر ، والبشر يخطىء ويصيب ومحال أن تقوم عبارة انسان — عربية كانت أم غير عربية — مقام عبارة الله تعالى فى جودة معانيها ، ودقة مراميها ، وخصائص اسلوبها ، وبراعة نظمها ، وسر فصاحتها ، وروعة بيانها .

وهنا نستطرد الى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع :

المسألة الأولى : هل معنى أن القرآن عربى أنه لا يحتوى على شىء من لغات غير عربية ؟ والجواب عن هذا : ان القرآن الكريم ليس فيه — قطعا — جملة مركبة بلسان غير عربى . إنما يوجد فيه — باتفاق — أسماء غير عربية هى أعلام على أشخاص بأعيانهم ، كابراهيم ، وآسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل ، وموسى ، وعيسى .. ووجودها فى القرآن لا يخرج به عن كونه عربيا ، لأن الأسماء التى وضعت أعلاما لأشخاص تبقى كما هى ولا يتصرف فيها عند نقلها الى لغات غير لغاتها الأصلية ، والا لكان معنى ذلك : إزالة الاسم عن مسماه واطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعينه .

وفى القرآن الكريم أسماء ليست اعلاما لأشخاص مثل : استبرق ، وقسطاس ، وسجيل ، ومشكاة .. وغيرها .

وقد اختلف العلماء فى اصل هذه الأسماء :

فمنهم من قال : إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات ، فهى موجودة فى اللغة العربية ، وموجودة فى غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربيا أن تكون بعض كلماته موجودة فى لغة أخرى ، لأن اتفاق بعض اللغات فى استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجه عن كونه اصيلا فى كل منها ، وإنما يخرجه فقط عن نطاق

الاختصاص والانتساب الى لغة بعينها .

ومن العلماء من قال : إن هذه الألفاظ اعجمية الأصل ولا زالت اعجمية ، ووجودها فى القرآن لا يخرجه عن كونه عربيا ، لانها قليلة جدا ، واقتباسها وإدماجها فى هذه الكثرة الساحقة من الكلمات العربية التى احتواها القرآن مما يجعلها تمييع وتتلاشى حتى لا تكاد تحس منها نبوة العجمة .

وذهب فريق ثالث من العلماءالى ان هذه الألفاظ اعجمية الأصل ، ولكنها — تبعا لنظرية تداخل اللغات فى فقه الله — استعملت من قديم وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان العربى ، ولانت بها السنة العرب حتى اصبحت عربية بالاستعمال ، ولا يخرج القرآن عن كونه عربيا باحتوائه على بعض هذه الألفاظ المعربة ، وهذا الرأى الأخير هو اشهر الأقوال الثلاثة وارجحها .

المسألة الثانية : نقل عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ، أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، وزعم زاعم — بناء على ذلك — ان أبا حنيفة يرى أن القرآن اسم للمعنى فقط ، وهذا يناقض ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ والمعنى معا .

وتوضيح المسألة : ان ما نقل عن ابى حنيفة — مخالفا به سائر الفقهاء حتى أصحابه — من جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، محمول على أن الصلاة مناجاة لله تعالى ، وما يقوله المصلى من معانى القرآن باللسان الأعجمى فى صلاته لا يقوله على انه قرآن ، وإنما يقوله على انه مناجاة منه لله عز وجل ، والمناجاة بأى لسان جائزة باتفاق .

ولكن بعض الفقهاء من اتباع ابى حنيفة رضى الله عنه يرى — والحق معه — ان هذا التوجيه لما نقل عن ابى حنيفة من جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة غير مستقيم ولا مقبول ويقرر ان ابا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى القول بعدم الجواز(٨) .

٤ — ومن صفات القرآن التى لا تنفك عنه كونه متواترا : اى رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب من لدن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان وصل الينا ، وروايته على هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته .

وعلى هذا فما روى بطريق الآحاد وهو ما لم يبلغ حد التواتر ، بأن رواه واحد ، أو رواه جماعة لا يحيل العقل اتفاقهم علىالكذب — على انه من القرآن لا يعتبر قرآنا ، لأن رواية الآحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين والقرآن لا يثبت بالظن أبدا .

وإذا ، فما يروى بطريق الآحاد عن ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهما من الصحابة من بعض الفاظ على أنها من القرآن : كقراءة ابى وابن مسعود فى كفارة اليمين ... « .. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » (٩) بزيادة لفظ متتابعات .

وقراءة ابن مسعود فى آية الإيلاء : « فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم »(١٠) . بزيادة لفظ (فيهن) .

وقراءة ابن عباس آية الحج « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج »(١١) بزيادة جملة (فى مواسم الحج) .

وقراءة سعد بن ابى وقاص فى آية الكلالة : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله اخ أو اخت من أم فلكل واحد منهما السدس »(١٢) بزيادة جملة (من أم) .

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا لفقده عنصر التواتر الذى لا بد منه فى تحقق القرآنية وثبوتها ، وتسمية بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا تساهل منهم لا اراه مقبولا ولا سائغا فى مثل هذا المقام الذى يتحتم فيه الدقة وعدم التسامح فى التعبير .

والظن بالعلماء الذين تسامحوا فعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية ، أنهم لا يقصدون أنها قراءات مروية عمن تنسب إليه من الصحابة ، وانما قصدهم ، أنها تفسيرات لهم .

أو لعل بعض الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز اثبات التفسير بجانب القرآن على هامش مصاحفهم التي كانوا يكتبونها لأنفسهم فظنها بعض الناس — لتطاول الزمن عليها — من أوجه القراءات التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه هؤلاء الأصحاب .

ومهما يكن من شيء يقال في توجيه تسميتها قرآنا ، فهي ليست من القرآن في شيء ، ومن يحتج بها من الفقهاء لا يحتج بها على أنها قرآن وإنما يحتج بها على أنها من قبيل أخبار الآحاد التي تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الآحاد مما يجب العمل به وتقوم به الحجة إلا في باب العقيدة .

٥ — ومن صفات القرآن اللازمة له : كونه منزلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى هذا : ان ما أنزل على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا حتى ولو حكاه القرآن ، على معنى ان ما جاء في التوراة — مثلا — من قصص أو أحكام ثم جاء القرآن بعد يحكيها ، لا تكون قرآنا حين نزلت على موسى ، ولا حين دونت في ألواح التوراة ، أما ما حكاه القرآن من ذلك بعد فهو قرآن من عند الله تعالى ، نزل به جبريل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يخرجه عن القرآنية أن يكون مضمونه موجودا في التوراة من قبل .

ونزيد ذلك ايضاحا فنقول :

إن القصة لها مضمون تناولته التوراة ، وتناوله القرآن ، والذي حكى القصة في الموضعين هو الله سبحانه .. حكاها في التوراة بأسلوب خاص ، وانزلها على موسى عليه السلام بلسان قومه فكانت من التوراة ، وحكاها في القرآن بأسلوب خاص وانزلها على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان قومه ، فكانت من القرآن .

والآيات القرآنية التي تضمنت أحكاما كانت شرعا لغيرنا وكانت مدونة بلغتهم في كتبهم المنزلة كقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها(١٣) أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »(١٤) . لا تخرج بذلك عن كونها قرآنا ، لأن الآيات التي من هذا القبيل نزلت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي ، ولا يقدح في قرآنيتها كونها حكاية لما في التوراة أو غيرها من الكتب .

أما الأحكام التي تضمنتها هذه الآيات فالقول الفصل فيها ما يلي :

١ — إن اقترنت بما يفيد نسخها بالنسبة لنا فلا تكون شرعا لنا .

٢ — وإن اقترنت بما يفيد بقاء العمل بها في حقنا فهي شرع لنا ، ولا نكون في هذا متبعين لشريعة غيرنا ، بل نكون متبعين لشريعتنا التي جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام .

٣ — أما إن تجردت عن القرينة الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها في حقنا ، فهذه محل خلاف بين الفقهاء : ففريق يقول : هي شرع لنا .

وفريق آخر يقول : ليست شرعا لنا .

ولكل من الفريقين دليله الذي يستند اليه في توجيه مذهبه وتصويبه .. وفي كتب أصول الفقه ما يغني طالب المزيد من المعرفة .

الغرض من انزال القرآن الكريم

والغرض من انزال القرآن الكريم امران :

الأمر الأول : أن يكون معجزة لنبينا محمد صلىالله عليه وسلم ، تشهد بصدق دعوته وحقية رسالته .

الأمر الثانى : أن يكون دستورا للأمة الاسلامية تستمد منه الهداية والرشاد ، وتستلهم منه الصواب والسداد ، وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها الى عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم »(١٥) .

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول :

« فيه نبأ ما قبلكم ، وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »(١٦) .

صدق الله ورسوله : فلا عز الا والقرآن سبيل إليه ، ولا خير الا وفى آياته دليل عليه . ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فتمسكوا بالقرآن فعزوا وسادوا ، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا رضوا بأن يكونوا من الخوالف فطبع على قلوبهم ، وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وصدق الله العظيم : « ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »(١٧) .

(للبحث بقية)

---

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة — وهناك آراء اخرى فى اصل الكلمة واشتقاقها . راجع الاتقان للسيوطى ، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .

(٢) يرى بعض العلماء انه علم جنس يصدق على القرآن كله وعلى ابعاضه . وكونه علما شخصيا هو الراجح — انظر مناهل العرفان .

(٣) فى الآية ٤ من سورة ابراهيم .

(٤) فى الآية ٧ من سورة الشورى .

(٥) فى الآية ٣ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ١٩٣ — ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٧) ولحرمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير المتوضىء مس المصحف كما لا يجوز للجنب ولا للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن اما تفسير القرآن وترجمته فجائز مسهما وقراءتهما للمحدث حدثا اصغر أو أكبر ، لزوال حقيقة القرآنية عنهما .

(٨) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

(٩) اصل الآية فى سورة المائدة رقم ٨٩ .

(١٠) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ٢٢٦ .

(١١) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ١٩٨ .

(١٢) اصل الآية فى سورة النساء رقم ١٢ .

(١٣) اى فرضنا على اليهود فى التوراة هذا الحكم وهو القصاص .

(١٤) فى الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(١٥) فى الآية ٩ من سورة الاسراء .

(١٦) رواه الترمذى فى كتاب السنن حـ ٢ — ص ١٤٩ — ط : الأميرية .

(١٧) الآيات ١٢٤ — ١٢٦ من سورة طه .



للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : أنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره انى اشتريت منه بقرا ، وأنه أتانى بطلب أجره : فقلت : اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لى : انما لى عندك فرق من أرز ، فقلت له : اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى ، فابطات عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب ابواى ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الي وانى راودتها عن نفسها فابت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها ، فامكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، نقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(رواه البخارى وغيره)

بين يدى البحث :

أ) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والآثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التى عالجت ذلك التراث الشريف ـ واهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفي هذا الوجود طالبي المعرفة العالية ، الراغبين في السمو الفكرى — كثيرا ما تنطوي على الاسرائيليات المقبولة حينا والممجوجة احيانا ، والتي ترد في أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرمى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأو ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غربهم بعلوم اللسان ، وطال باعهم في ميدان المعقولات ، فقد كانوا قممها ولا يزالون — في آثارهم الخالدة — المجلين في حلبتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الرديء ، على دربهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع أولئك الفحول في أحبولة الاسرائيليات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة .. ؟! حملني ذلك على أن أقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفذلكة يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شيء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وأن الكلم الطيب موضوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها في بني اسرائيل ، وان كانت رواية البخاري لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة في رواية الطبراني : عن عقبة بن عامر .. أن ثلاثة نفر من بني اسرائيل .. الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بني اسرائيل والنظر في كتبهم أولا .. ثم حصل التوسع في ذلك ، فكأن النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامي البين ، والاغترار بما دونه الاحبار في كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط السماء والوحي الالهي ، ثم لما زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية في نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها .. عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وابيحت قراءة ما سطروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التى احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبار بتلك الأحوال ، والاقتداء بحسنها والتجافي عن سيئها ، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري وغيره من الثقافة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الأعاجيب فان ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضي الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعي رضي الله عنه : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو — والله أعلم — أن السابقين لما سمعوا ما اثبت صحته البخاري ، وما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ترخصوا في رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم أصلا من أصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبار بالوقائع التى أحدثها الله تعالى لمن سلف لينهجوا منهج من أطاع منهم فأثنى الله عليهم وفازوا برضوانه ، ويتنكبوا

مسالك من غصوا وتمادوا فى البعد عن أوامر الله تعالى فحقت عليهم كلمة العذاب ، فلعل هذا هو ملحظ المفسرين والشراح الذين أوردوا الاسرائيليات فى تفاسيرهم وهى غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولـــكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ فى ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط عمـــلا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيغها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعيته التى لا تقبل الجدل بل وتنفى الخرافة وتعيب حاكيها ، ومما يخفف وقع تلك الخرافات أنها لا تتصل بشىء من العقيدة ، وانما هى قصص يمجه الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والثور يقف على ظهر حوت ، والحوت يسبح فى بحر ، وان الهزات الارضية ، تنشأ عن تحركات الثـور حين يعيى بحملــــه فينقل الارض من أحد قرونه الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : « اذا روينا الأحكام شددنا واذا روينا فى الفضائل تســـاهلنا ، وما وراء ذلك ننفيه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا فى دراســـتنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى فى القصص الغير بين الكذب أو الشديد المبالغة .. وعقـــب على كل ذلك الحـــافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره المسمى : (تفسير القرآن العظيم) بما نورده هنا اكمالا للفائدة ، وتعميما للمعرفة الحقة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهى على ثلاثة أقسام : **أحدها** : ما علمنا صحته مما فى أيدينا مما يشهد له بالصـــدق فذاك صحيح . **والثانى** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى . ومن أمثلة حديثهم أى الاسرائيليين عن أســـماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأســـماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما أبهمه الله تبارك وتعالى فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا فى دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كمـــا قال تعالى : « ســـيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون ســـبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد اشتملت الآية الـــكريمة على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضـــعف القولين الأوليين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال فى مثل هذا « قل ربى أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلهذا قال : « فلا تمارى فيهم إلا مراء ظاهرا » أى لا تجهد نفســـك فيما لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشراح فى ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ فى الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من أقوالهم ، وممن

اكثروا فى هذا المقام (الخازن) وقد قال فى شأنه الشيخ الزرقانى رحمه الله : « .. وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ومن مزاياه انه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر ولا يفتتن جاهل » وهذه ولا شك شنشنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب) كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة ، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد ايمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتصمين بحبل الله باذلين الروح والمال فى سبيل الله وما يعلى من شأن دينهم الذى هو سبيل الحياة الحرة الكريمة فى الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا فى الآخرة ، ولما كان للقصص اثره فى جذب الانتباه ، والحمل على التاسى بأبطال القصة ، ومحاولة التشبه بمن عمل صالحا فنال خير ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوى فضل وغوى ، من اجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن اجل ذلك ايضا وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديثه صلى الله عليه وسلم عمن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع على احوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما قال جل شأنه لنبيه بعد ايراد قصة مريم وما كان من أمرها قبل ولادة عيسى عليه السلام : « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » .. وقد كان الحديث الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ، وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

فقد ورد هذا الكلم الطيب فى صحيح الإمام البخارى تحت عنوان (حديث الغار) يروى اخبار ثلاثة نفر من بنى اسرائيل لجأوا الى غار فى جبل فرارا من الامطار والانواء ، فسدت عليهم بابه صخرة تدحرجت بفعل السيول الجارفة من عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المازق الا أن تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا فألهمهم الله أن يتذاكروا فيما بينهم ما ينفع فى موقفهم هذا عسى الكرب الذى امسوا فيه يكون من ورائه فرج قريب ، والمؤمن يفزع الى جناب ربه كلما ألمت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن ذا الذى يجيب المضطر اذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا تداعى الثلاثة النفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدنيهم من رحمة الله ويمنحهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصدق العلى الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » . وقد كان هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله فى السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم يرونه رأى العين ، وهذا مقام الاحسان الذى لا يصل اليه الا عباد الله المخلصين ، ويبدو هذا واضحا فى قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء

لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه » أى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع (بضم اوله وتشديد الميم المكسورة) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا — ولا شك — افضل العمل واكثره تمحضا لله تعالى ..

اما أولهم : فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم بأجر معلوم ، ولأمر ما لم يتسلم احدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على أجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما اعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فنمى المال بالطريقة التى ارتآها حتى صار شيئا عظيما أدهش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وقصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالعجب العجاب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى أعرافهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه عون الله تعالى قيوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الغار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقى يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا — فى لطف الله بهم — الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

وأما الثانى : فقد اكرم والديه الفانيين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز اصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى أفضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويعوج بالباقى على أهله وصغاره الذين يتضاغون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذماءهم ويبقى على نشاطهم ، ولكن الايمان بالله وبحقوق الوالدين ، والعزوف عن العواطف النفسية المتمثل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد انساه حب الخير لوالديه واخلاصه لربه حالة أبنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضع وامهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الأتقياء الذين أسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفرجت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء فازدادوا ايمانا بمكوكبها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

ويجىء دور الثالث : وما أدراك ما دوره ، انه دور فذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تندحر فيه الأمارة بالسوء أمام جلال الايمان وتتلاشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يسيل الجليد قطرات فى وهج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وازاحها من طريقه ، فألزم نفسه هداها ، وقهر قرين السوء شيطانه ورده خاسئا رجيما ، هذا ، مع أن المراة قد شغفته حبا ، وحمله ولهه على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، اما وقد تهيأ له كل شىء حين نزلت بالمراة سنة أتت على أخضرها ويابسها ، ونبذتها وفلذات كبدها بالعراء وهى سقيمة ، وتركتها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر — كما ورد فى رواية أخرى — وقد كانت هذه المراة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطـالبها المفتون بالغانية الهيفاء ، وقد جلس منها مجلس العهر والمجون تحت سـطوة الجوع وقهر الحرمان مما يقيم الأود ويبقى على الحياة ، حياتها وحياة صـغارها : « أذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك . » وهنا يستيقظ الاحسـاس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « أنا أحق من يخاف ربى » . وفى رواية : انها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : اقدمنى على السوء حاجتى الى الطعام . فقال لها : لا عليك انطلقى بما معك ، وفى ثالثة : أنه هو قال : تذكرت النـار فقمت من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا — يا قوم — منشيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات ارضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالح البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانسـانية الفاضلة وما هو الا عماية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك الميسـور من الفجور الذى دأن له واصبح فى استطاعته معاقرته دون عزول ، مع الحاح الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيـون النجل والغصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وانما أهداها ما أعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الـكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربى مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصـخرة بقدرة الله وحده عن مدخل الغار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربى انه على كل شىء قدير . .

والخلاصة :

أن الاعتبارات التى يجب أن يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :

١ — ظهور ثمرة الطاعة ، ووضـوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفانى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وان هذه الاستجابة الالهية لعباده الضارعين الى جنابه باخلاص تحمل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصـته : . . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ومعنى هذا اجابة الداعى لحظة دعائه ، وقبول رجائه فور رجائه .

٢ — طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الأعمـال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربـكم ادعونى أستجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان » الآية .

٣ — ابراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجىء الى تعجيل جزاء بعض الاعمـال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة النفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا أمرهم اليه سـبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك » . . الخ . فهو يرشد الى انهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا منتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم انظر وتأمل ادب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى أول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطلح عليه المؤمنون ، وما يبدو انه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بداوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم انه عمل ابتغاء مرضاتك ..

٤ ــ اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب :

ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان امتد فليس بعيدا عنه اذ هما أبواه وبرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه ليتقاضاه ، وصاحب الأجير : تعدى بره نفسه الى غيره وابرز خلالا لو تمت فى مجتمع لأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك الخلال الأمانة ووضعه غيره موضع نفسه بتنمية مال الأجيــر وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومنافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد فضله ، وكان عمله أدل على التجرد من هوى النفس الأمارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهيؤ فرصة المواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكفهر سماء الحياء والمروءة تحـت الحـاح القـوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا أن خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » أو حين تذكر قشعت كل شـعور مادى واحلت الرهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيب ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بانه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال الـــكلبى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال أيضا فى سـنة عجفاء . ولابنة عمه آسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا أن عمل صاحب المرأة كان اكثر نفعا واجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه ــ والله أعلم ــ ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

٥ ــ ونقول اخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطـــاعة الله واخلاص الاعمـــال له وحده ، ولئن طلب هذا اســــلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أحوجنا اليه فى ظروفنا الراهنة التى تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، وغلقت عليهم المنافذ فكأنهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله اوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة معتمدين على الله وحده ، فقد طال سـباتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاغر فاه همه ابتلاعهم أو صمصام مصلت على رقابهم ، أو سهم مسدد الى نحورهم ، أو قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أعان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرد من العدة ومن حوله ينوشه الأقوياء ، وامده بالحول والقوة رغم الليالى الحـوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤدوه قلب ميزان القوى ، فقوته فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شرعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .

مظاهر وأسباب تخلف

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا وأسى اذا حدق بناظريه فى واقع أمته ، فيجدها فى واقع حضارى أدنى من غيرها ، ويجد بلاد الاسلام نهبة للغاصبين وفريسة للذئاب ومذبحة للمسلمين أنفسهم ، فتغلى مراجل الثورة فى جنبيه ، ويكرر النظرة إثر النظرة ليشخص فى تقديره الداء ، ويصف الدواء ، ويكاد يحصر أخطر أسباب تخلف الشرق العربى مثلا فى أن إمكانيات دول العرب أو الاسلام لا تتجه فى خط واحد وهدف واحد ، ولو لسنوات معدودات ، وذلك الهدف هو التخلص من وجود العدو الصهيونى وتقليم أظفار صانعيه ومناصريه فى الغرب والشرق ، حتى يتهيأ المناخ الملائم لتوفير بيئة الاستقرار والأمن الضرورى لإقامة صروح الحضارة الاسلامية العتيدة بوحى من مبادئها .

وفى نظرة أفقية أوسع لا تقتصر على دنيا العرب نرى ان العالم الاسلامى فى المشارق والمغارب من طنجة الى جاكرتا ، ومن عدن الى كراتشى فى وضع متخلف دينيا ودنيويا ، ماديا ومعنويا ، فليست أخلاقنا مما ترضى ، ولا تديننا فى ميزان الاسلام الأول مما يسر ، ولا اقتصادنا مما يريح ويطمئن ، ولا تقدمنا أو وضعنا العسكرى والصناعى والزراعى والسياسى مما يجدى .

أما الأخلاق والقيم والفضائل ففاقدة القداسة ولم يعد لها الاحترام المطلوب ، واصبح معيار الحياة هو المادة والمصلحة والمال والربح ، والترف

العالم الإسلامي

محمود فؤاد

للدكتور وهبه الزحيلى

والمجون ، واللهو والعبث ، والإثم الباطن والظاهر ، وتشكك الناس فى فائدة القيم الخلقية ، فشـــاع بينهم الكذب والخداع ، والغش والنفاق ، والمداهنـــة والرياء ، والخيانة والجشع ، أو الطمع وقلة الورع ، والقسوة والبطش ، أو عدم الرحمة واللين ، وفقدان المحبـــة والتعاون ، وذهاب الإخاء ، وانعدام السماحة والبساطة واليسر ، والجبن والبخل أو الشح ، ونقض العهود وعدم الوفاء بالوعود والعقود والتحـلل من الالتزامات ، وضـــعف الثقة ، ونظرة التشاؤم ، ونحو ذلك من أمراض الاخلاق الاجتماعية ، ومن أخصـها أمراض الجنس وتناول المسكرات وتعاطى المخدرات .

وأما الدين فمشوه الحقيقة والصورة ، أو عديم الأثر فى الحياة الخاصة والعامة عند الأكثرين ، وذلك بسبب الاعتناء بالمظـاهر الدينية وترك الجوهر والروح ، وعدم السيطرة الفعالة على القلوب والسلوك والمعاملات ، واختلاطه بالضلالات والبدع والانحرافات ، أو التناقضات والخيالات ، وحجبه عن النفوذ الى مسرح الحياة ، والاستخفاف بأهله وانصاره والدعاة اليه من قبل الكتاب المأجورين وبعض الصحفيين المارقين والمعلمين الضـالين ، أو المربين المثقفين بثقافة الغرب المحضة ، المتنكرين لتراث أمتهم واخلاقهم وحضارتهم . مع أن الاسلام بالذات دين الخير والعقل والمجد والعزة والكرامة ، والهداية والنور والحضارة ، وثبات المبادىء الأصيلة التى لا تهادن الأعراف الفاسدة ، أو النظم

الظالمة ، التى لا يمكن للمسلم الواعى إباحتها تحت عنوان المرونة أو التطور أو الضرورات المشكوك فى وجودها : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وأما اقتصادنا ففقير عاجز أو بدائى متخلف ، أو مضطرب متعثر ، فبالرغم مما نجده من أرقام ضخمة فى ميزانيات الدول الاسلامية أو العربية ، وبالرغم من توفر خبراء الاقتصاد والتخطيط والمهندسين الزراعيين والجيولوجيين ونحوهم من المختصين فى مختلف العلوم التطبيقية الحديثة ، بالرغم من كل ذلك لا يزال ميزاننا الاقتصادى فى عجز متكرر ، ونقدنا فى هبوط ، وديوننا فى تزايد ، وعمالنا فى فقر وبطالة وحرمان ، وزراعتنا فى تأخر لعدم الأخذ بأساليب الزراعة الحديثة المتطورة ، ومصانعنا فى غير المستوى المطلوب عالميا ومحليا ، مع وجود جيوب وخلايا وزوايا أخرى تمتلىء بالبذخ والإسراف والترف والمجون .

وأما جامعاتنا ومدارسنا فهى فى الغالب لتخريج آلاف الموظفين الذين يبحثون فى نهاية المطاف عن لقمة العيش ، ثم ينقطعون عن مواصلة البحث العلمى والإنضاج الفكرى . ولم يعد خافيا أن بعض هذه الجامعات تدرس فى الحقيقة تاريخ العلوم التطبيقية ، وليس العلم المتطور الذى بنى برج التقدم الحالى .

وأما إعدادنا العسكرى فما يزال ناقص التجهيز ، رهين الاستيراد ، فاقد الأساس الذاتى والتصنيع المحلى للآليات الثقيلة ووسائل القتال الجديدة التى تلعب دورا فعالا وحاسما فى الحروب الحديثة كما هو معروف . وكذلك التدريب العسكرى فيما نلاحظ ليس على المستوى المطلوب المكافىء لتدريبات العدو ..

وأما سياستنا وأوضاع الحكم فمرتجلة غير ثابتة ولا اصيلة ولا مخططا لها ، ويغلب عليها الاستبداد السياسى والغموض ، وعدم الاستقرار ، واضطراب الموازين ، وضعف الخطط ، وتغير السلطات السريع ، وإبعاد الأكفاء ، واتباع الرغبات أو الأهواء .

وأما وضعنا الدولى العام فمجزأ السلطة ، مفرق الكلمة ، مشتت الهدف ، ممزق الصف ، ففى العالم الاسلامى عشرات الحكومات والدول دون أن تجمع بينها رابطة قوية ، أو انظمة موحدة ، أو ثقافة مشتركة ، أو تعاون جماعى بناء ، أو هدف رئيسى عام ، أو معاهدات دفاعية منفذة فعلا عند الاقتضاء لدفع الأخطار المشتركة ومحاربة العدو الواحد . ومن المؤسف أنه اذا دعى لتحالف معين اتهم الداعى بالتواطؤ مع الاستعمار أو الرجعية ، وثارت الشكوك حوله ، وحورب حربا لا هوادة فيها . وهكذا يوصم المخلص الغيور أحيانا بالرجعية ، ويكافأ دعاة الإلحاد والتجزئة بألقاب التحرر والتقدمية ، ونحو ذلك من قلب المفاهيم ، وتعتيم الصور ، وطمس معالم الحقيقة .

هذه هى بعض الأضواء العامة على مظاهر تخلف المسلمين ، أما أسبابها فكثيرة .

فمن المعروف لدى مقارنة الحضارات أن أزمة الحضارة الغربية تكمن فى ماديتها الخالصة ، أعنى أن فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها تدور فى فلك المادة ، وتتنكر للفطرة الانسانية ، ووجود خالق غير المادة (أى الإلحاد) ، فأصبحت العلوم التجريبية آلة لتدمير الانسان ،

وانصهرت الأخلاق فى النفعية المحضة والخلاعة والمجون والرياء والسطحية ، وصار المنهج الاقتصادى عديم الإنسانية ، وواسطة الاستبداد والظلم ، وافسدت السياسة بمفاسد القومية الضيقة والوطنية الضـــيقة ، والتمييز العنصرى ، وعبادة القوة وتأليه أصحابها .

هذا بالنسبة للغرب ، اما مرض الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها فهى تختلف عن مرض الآخرين واســباب المرض ، وترجع فى جملتها الى إهمـــال شرعة الله وهداية الاسلام الكفيلة بتحقيق المعنى الحضارى السليم او الثورة الصحيحة : وهو تقدم العلاقات الانسانية ، أو إقامة الحضارة على اســاس إنسانى ، ويمكن حصر اسباب تخلف المسلمين فى النواحى الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

أ) **اسباب التخلف الاجتماعية** : تهمل الجماعة واجبا اســـاسيا فى الاسلام : وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنتهج منهج اللامبالاة وتقاذف المسئولية عن أسباب التردى ، والفرار من تحمل العبء الواجب فى الإرشاد الى الخير والصلاح ، والترهيب من الشر والفساد والظلم والعصيان : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » « فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون » « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لســـان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصـــوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وترك الناس جهاد العدو المادى ، اى قتاله فعلا ، الذى هو فى الأصل من فروض الكفاية على الجماعة المسلمة ، كما تركوا الجهاد فى وجه من استهان بأحكام الاسلام وعقائده وفروضه وآدابه وأخلاقه فى داخل الأمة . واهملوا أيضا جهادا من نوع أو أفق آخر يمتد لمعرفة مكائد العدو واستعداداته وطاقاته ومبادئه ومخططاته وألوان خداعه ، والاعتبار بالماضى القريب والبعيد ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما ينقض الاسلام عروة عروة من نشأ فى الاسلام ، ولم يعرف الجاهلية » ، وقال أيضا : « عرفت الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيــه » « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » . وهذه معان قرآنية سبق الكتاب العزيز للإشارة إليها فى مبدأ الحذر فى قوله تعالى : « وخذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ومما ساعد على إهمال المجتمع سوء فهم عقيدة القضاء والقدر ، ظنا بأن القدر يقع مجردا من اسبابه ، فتوانى الناس واهملوا وتواكلوا ، ونسبوا ظلما الى القدر ما ليس فيه ، ورددوا كلمات تدل على أن الكائن كائن لا محالة ، وأن الانسان مسير مجبر . وليس كل ذلك صوابا ، إذ القدر عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بالشىء عند وجود سببه الذى يقتضيه ، سواء من قريب أو بعيد . فنقص المحصول الزراعى مثلا ناشىء من إهمال الزارع . وتســـــلط العدو واحتلال اراضينا ناتج من ترك الجهاد والإعداد اللازم للمعركة ، وضعف الهمة وفتور العزيمة ، وعدم الحمية والغيرة ، وجمود الفـكرة ، والخوف والوهم ، وإهمال الإرادة والتصميم ، وإفراغ القلوب من محتوى القداسة ، وعدم تقدير المعنى الجماعى ، وإلقاء بديل فارغ فيها لا يصلح حافزا على التضحية بالنفس فى سبيل الأمة أو الجماعة . ومع ذلك ظن هؤلاء الجنود وغيرهم أن النصر يكون فى جانبهم ، لأنهم مسلمون ، أو اصـــحاب الحق الشرعى ، والنصر قد يحصل للكافر أو المعتدى لحكمة معينة مرجعها فى النهاية أعمال المســـلمين

وتقصيرهم ، أو البعد عن مقومات المجتمع الاسلامى الصحيح .

وخيم على الناس ظلال كثيفة من الغموض والجهل بسبب الضـــلالات والبدع ، واختلاط المفاهيم ، والثقافات الواردة ، والتأثر بالخرافات والأباطيل ، والنظرات السطحية نحو الاسلام وفاعليته الحركية الدافعة الى حياة مترعة بالبطولات والأمجاد . ومن هنا لم يعد غريبــاً توالى الهزائم وعموم البـــلايا والمصائب على الجماعة : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

ب) أسباب التخلف الأخلاقية : إن من أخطر آفات التخلف ، واكبر عوامل التقهقر فساد أخلاق الأمة الاسلامية ، ووقوعها فى هاوية الفســاد والانحلال الخلقى ، وذلك لأن غاية الاسلام فى الحقيقة إقامة المجتمع الفاضل من وراء كل قصد فى الاصلاح والرقى . وعليه اذا شاع بين الناس حب الانحراف ودب إليهم داء الحسد والبغضاء ، وشغل المرء بأهوائه وشهواته ، وقل الحياء ، وارتمى الناس فى أحضان الرذيلة من رقص وخلاعة ومجون ، وتساهلوا فى أخطر الأمور وهو اختلاط الجنسين فى المسابح وشواطىء البحار ، والترويج لأدب الجنس الخليع ــ اذا شاع ــ أدى ذلك كله الى ضــــياع مجد الأمة ، وتعطيل مصالحها ، وتخريب ديارها ، وفساد أمورها ، وانهيار نهضتها ، كما حصل بالنسبة للفرس والرومان وغيرهم فى أعقاب تفسخ شعوبهم .

ومن مكرور القول ان الفضائل والأخلاق سبيل النهضة والعمران ، وطريق التحضر والرقى والتمدن ، وكلمـــا ارتقت الاخلاق تحقق التقدم ، وتم الازدهار والنمو والكمال . وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من بعثته فى قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » « الخلق وعاء الدين » .

هـ) أسباب التخلف الاقتصادية : إن قوة الأمة ورقيها بقوة اقتصــــادها وغنى أفرادها ، وإن ضعفها وتخلفها بضعف اقتصادها وفقر ابنائها ، وذلك لأن الغلبة على العدو وإقامة برج الحضارة تعتمد أساسا فعليا على العنـــاصر المادية ، فإذا افتقدت أصيبت الأمة بالشلل ، وعجزت عن التقدم ، وشاعت فيها عيوب كثيرة كالخمول ، والبطالة ، والركود الفكرى والعلمى ، والمرض والقلق والجهل ، واضطراب الأسر والمصالح العامة والخاصة .

وإذا توفر المال اللازم كما فى بعض دول الاسلام ، وجب بداهة إحسان استثماره وتوجيهه نحو أهداف الأمة ومطالبها الحيوية الحساسة التى تهيىء مركز القوة والعزة والسيادة وارهاب العدو . وإذا ســاء استخدام المـــال أو تجميده ، ظل الاقتصاد فى تخلف ولا شك بأن اقتصاد العالم الاسلامى فى حالة مرضية متخلفة ، بسبب تخلف الزراعة والصناعة وبطء الحركة التجارية .

ويجدر الا ننسى دور الاستعمار واتفاق قوى العالم الكبرى على ابقـــائنا متخلفين اقتصاديا ، ووضع العراقيل أمام تفوقنا أو نهضتنا الاقتصادية ، بتضخيم المشاكل الخاصة ، والتشكيك فى جدوى المشاريع الكبرى أو الحساسة ، وضعف الموارد والإمكانيات الذاتية ، وذلك بقصد تأمين مصالح دول الشر ، وتوفير الاسواق لتصريف منتجاتها ، وبقاء نفوذها وسلطتها السياسية الكبرى ، ورفع مستوى الغرب وتقدم صناعته على حساب الشرق والدول النامية فى آسـيا وافريقيا ، والحفاظ على تدفق شرايين موارده المسخرة لدعم مصانع ومصالح الغربيين .

والحقيقة ان تقوية اقتصادنا لا تحتاج إلا الى شىء من التصميم والفـــكر والإرادة وشحذ العزيمة والثقة بالنفس والجرأة ، ودفن كل منافذ اليأس والقنوط

والتخوف والهلع المصاحبة للنفاق والعجز : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم » « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

د) **أسباب التخلف الثقافية** : العلم والاجتهاد والتربية سبيل النهضة الكبرى . ولقد أدى الى تخلف المسلمين بدءا من القرن التاسع الهجرى انحطاط فكرى وعلمى عام ، فلم يعد هناك تجديد وابتكار ، سواء فى العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية ، أم فى العلوم الطبيعية والتجريبية والكونية المفيدة . ومهما افتخرنا بآثار علماء الأندلس وحكماء الشرق وبأن المسلمين هم أول من ادخل التجربة فى ميدان العلوم ، فإنه كما وكيفا وإتقانا وتجديدا يتضاءل أمام الإنتاج الغربى الضخم فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولعل إقفال باب الاجتهاد والتزام التقليد والاعتماد على جهد العلماء السابقين فى نطاق العلوم الشرعية وغيرها ، أو الانتماش فى ظل العاطفة الإسلامية البحتة ، كان من أهم أسباب ركود الروح العلمية ، وجمود الفكر ، وفقر الإبداع ، وإخلاد الناس الى الراحة . وكان لزاما على علماء العصور الأخيرة ان يتنبهوا الى ما حاق بهم من عزلة عن العالم ، وأن يتفهموا مبادىء الحضارة الحديثة ، ويسارعوا الى بلاد الغرب لتعلم علوم النهضة الحديثة ، والاهتمام بالاكتشافات العلمية ، والاستفادة من المناهج العملية التى ادت الى رقى الغربيين ، ونقلها الى نطاق التعليم والحياة المدنية عند المسلمين ، وتهيئة دول الاسلام مجالات وإمكانات الاستفادة من هاتيك العلوم وتطويرها ومتابعة آفاقها فى التطبيق والابتكار .

وفى العصر الحاضر فشل دعاة الحضارة الاسلامية لالتزام مبادئها وخصائصها بسبب فقدان الإدراك الدقيق الشامل لأسس هذه الحضارة ، وكيفية تفاعلها مع الحياة الحديثة ، وعدم معرفة مدى الاستفادة منها إزاء الحضارة الجديدة . هذا فضلا عن الخلافات المتكررة بين الدعاة أنفسهم ، وانعدام روح التنسيق وتحقيق الانسجام بين أعمالهم ، واهتمامهم بالجزئيات والخلافات البسيطة ، وترك القضايا الكلية أو المبادىء العامة التى نبه اليها القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مجال العلم والعمل والاستفادة من طاقات الأرض وخيراتها ، والاهتداء بذخائر الكون ونعمه التى لا تحصى لاسيما فى بلادنا ، مثل قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » « إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، وذلك من اجل استخدام هذه المبادىء فى معالجة أوضاع العصر المتبدلة ، ومواجهة غزو الأفكار الغربية واندفاع سيل الحضارة الجديدة . ويدلل لما اقول : أن فى بلادنا غنى وثروة كبرى ، معدنية ونفطية ، وإن السعودية مثلا بالنسبة لما فيها من ثروة معدنية هائلة تعد أغنى بلاد العالم كما أكد الخبراء المختصون .

هـ) **أسباب التخلف السياسية** : لقد أصبح للدولة ذلك العملاق الرهيب فى العصر الحديث أهمية بالغة ودور عميق وكبير فى حياة الشعوب ، إذ أن الدولة الحديثة انتزعت كثيرا من أوجه نشاط الأفراد ، واستأثرت بكل مظاهر القيادة والتوجيه ، فأصبحت هى المسئولة بالدرجة الأولى عن تحضر شعبها وبلدها : « من يزع بالسلطان أكثر ممن يزع القرآن » اى من يردعهم الحاكم أو يحملهم على العمل والكفاح أكثر ممن يردعهم القرآن أو يبعثهم على العمل الصالح .

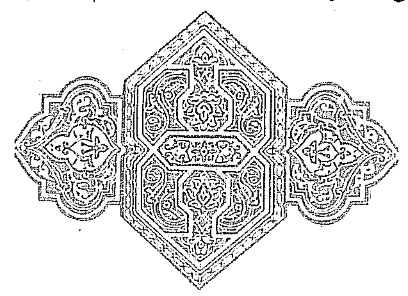
ومن هنا وجدت أسباب سياسية لتخلف البلاد الاسلامية ، من أهمها : الاستبداد السياسي ، وفقر القيادة الناجحة ، وفصل الدين عن السياسة والحياة والعلم ، وتجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار وأعوانه وأذياله .
أما الاستبداد السياسي الذى لا يلتقى مع الاسلام فى شيء ، فوقعت فيه الشعوب المسلمة منذ أمد طويل بعد الخلافة الراشدية ، وظلت تعانى منه وترسف فى قيوده الى اليوم ، وبرز فى أسوأ مظاهره عند كثير من حكام المسلمين الذين كمموا الأفواه وكبتوا الحريات وحكموا حكما دكتاتوريا .

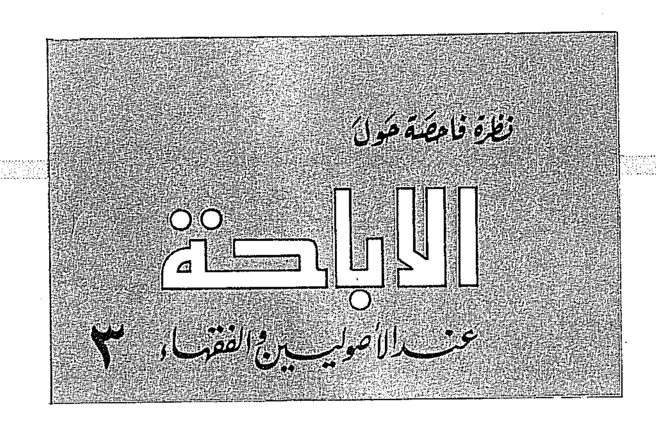
واما فقر القيادة فمن المعروف أن العالم الاسلامى لم يرزق بعد وفاة القائد صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٩ هـ — ١١٩٣ م بقائد مخلص فذ قدير مثله ليوحد المسلمين ، ويحرر بلاد الاسلام ، ويبنى نهضة جديدة .

واما فصل الدين عن الحياة بدءا من إلغاء الخلافة الاسلامية على يد مصطفى كمال اليهودى البلغارى الأصل ، فهو أخطر منعطف فى حياة الاسلام ، بسبب اعلان (علمانية) الدولة ، وهدم سلطان الشريعة ، واستيراد الأنظمة والقوانين الغربية ، وتربية الشعوب تربية غربية تابعة فى الفكر والعمل لمناهج الغربيين ، وترك تراث الاسلام العظيم .

وأما تجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار القديم والحديث فهو أمر واضح نعيش كل يوم مع الوان من مكره وخداعه ومساعيه الدائبة الطويلة المدى لإحباط أى مسعى جماعى أو هدف وحدوى ، ولا غرابة إذا قلنا : لم تنقطع حملات عدوان الكفرة الموروثة عن أبى جهل وأبى لهب وأنصارهما من اليهود والمنافقين لتمزيق وحدة المسلمين ابتداء من عهد فتنة عثمان رضى الله عنه ، ولم تهدأ الحرب السافرة أو المقنعة التى تعوق كل تقدم حضارى للمسلمين بسبب تجزئة الكيان الاسلامى الذى ظهر فى القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى بظهور خلافات ثلاث فى آن واحد فى بغداد والقاهرة والاندلس ، وما تلاه من دويلات وإمارات مستقلة .

هذه هى أهم أسباب تخلف وانحطاط المسلمين فى صورتها الظاهرية ، فهى أعراض لأمراض متعددة . ولكن ليس الشفاء من هذه الامراض أمرا متعذرا ، وانما هو سهل يسير إذا حسنت النية ، وتوفرت الإرادة ، وصدقت العزيمة ، وتهيأ الإخلاص : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .





أسباب الإباحة في الفقه الإسلامي

للدكتور : محمد سلام مدكــور

السبب عند علماء الشريعة : ما يلزم من وجوده وجود المسبب ومن عدمه العدم (١) ، والـذى سنعرضه هنا هــو أسباب الإباحة الطارئة على فعل يكون مطلوبا منا فعله أو تركه ثم يعرض ما يقتضى إباحته تخفيفا على العباد ورفقا بهم . إما إباحة مقيدة بحال كالرخص ، أو مطلقة كما فى الفسخ . فيخرج من هذا ما إذا كان الفعل مباحا في الأصل ثم طلب الشارع فعله أو تركه فى حالة معينة ثم زالت هذه الحالة وعاد حكم الفعــل الى الإباحة الأصلية ، وذلك كحل الاصطياد بعد الإحرام المدلول عليه بقولــه تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » فإن الاصطياد كان مباحا وطرأ عليه الحظر بقوله تعالى : « غير محلى الصيد وأنتم حرم » .

وفى الواقع إن أسباب الإباحة الأصلية التى سنستبعدها ترجع الى :

١ ـــ عدم النص على الحكم لا صراحة ولا بطريق الدلالة تبعا لقاعدة : إن الأصل فى الأشياء الإباحة ، على ما بيناه تفصيلا فى موضعه (٢) ، وقد يعبر الأصوليون عن هذا بالبراءة الأصلية .

٢ ـــ ورود نص يفيد الإباحة وهى ما تسمى بالإباحة الشرعيــة ، ويكون ذلك النص بأسلوب من أساليب الإباحة التى سبق الكلام عنها فى المقال السابق .

وإن ممارسة الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية تدل على طروء الإباحة لكل من المحظور والواجب . فالمحظور على سبيل التحريم أو الكراهة يصير فى بعض الأحيان مباحا ، كما يصير الواجب أحيانا كذلك . أما المندوب فإنه يظهر فيه معنى الانقلاب الى الإباحة ، لأن الشأن فى الانقلاب الى الإباحة رفع الحرج وهو بالنسبة الى المطلوب يكون فى جانب الترك وهذا القدر يتحقق فى المندوب فلا داعى لتحويله الى مباح .

كما اننا استطعنا بالنظر والتأمل أن نرجع الأسباب التى يصير بها كل من المحظور والواجب مباحا الى اسباب متعددة من وجهة النظر الشرعية كالرخصة ، ونسخ كل من الوجوب والحظر ، والاستحسان ، والعرف ، والمصلحة المرسلة ، والذرائع ، وغير ذلك مما سنشير اليه :

اولا : الرخصة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

الرخصة فى اللغة التيسير والتسهيل ، وقد عرفها الشرعيون بتعريفات مختلفة اخترنا منها . أنها ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلى يقتضى المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه . ويقول البيضاوى فى المنهاج : الحكم إن ثبت على خلاف الدليل لعذر فرخصة كحل الميتة للمضطر . والقصر والفطر للمسافر . وعلق على ذلك الأسنوى فقال : إن تمثيل المباح بالفطر للمسافر لا يستقيم لأنه إن تضرر بالصوم فالفطر أفضل ، وإن لم يتضرر فالصوم أفضل . فليست للصوم حالة يستوى فيها الأمران . وقال : إن الصواب التمثيل بالسلم والعرايا ، والإجارة والمساقاة وشبه ذلك من العقود ، فإنها رخصة بلا نزاع .

وفقهاء الحنفية يقسمون الرخصة : الى رخص حقيقية ويسمونها برخص الترفيه ، ورخص مجازية ويسمونها برخص الإسقاط ، وكل ما يفيده الترخيص فى الرخص الحقيقية هو رفع الإثم وهو ما يقابل « موانع المسئولية فى القانون الجنائى » ، لأن الفعل غير مشروع مع رفع المسئولية الجنائية عن الفاعل كمن اعتدى على مال غيره دفعا للمخمصة . فإن الاعتداء نفسه غير مشروع ولا تبيحه حالة المخمصة بدليل وجوب ضمان ما أتلفه من مال ، وكل ما فى الأمر ان المسئولية الجنائية قد رفعت عنه . يقول البزدوى : إن من أصابته مخمصة حل له تناول طعام غيره على أنه رخصة لا إباحة مطلقة . وقد ناقض الإمام الغزالى الحنفية فى هذا . وعلى كل فرخص الترفيه عندهم ليست من أسباب طروء الإباحة .

أما الرخص المجازية عندهم ، وهى رخص الإسقاط ، والتى منها الحكم الذى يسقط به غيره مع كون الحكم الساقط مشروعا فى الجملة ، كقصر الصلاة للمسافر بناء على أن القصر يسقط به الإتمام ، وكأكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة ، وكبيع السلم . فهذا النوع من الرخص المجازية عندهم هو الذى تنحصر فيه سببية الإباحة الطارئة من بين أقسام

الرخص ، وإن كانت تارة تكون سببا فى غير الإباحة فقصر الصلاة للمسافر عندهم واجب .

وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من الرخص المجازية عندهم سببا للإباحة فى جميع الجزئيات وإنما فى بعضها كإباحة السلم ، وإباحة المسح على الخفين عند من يرى استواءه مع غسل الرجلين إذ انهما من المباحات .

لكن الشاطبى المالكى يرى أن الرخصة لا يترتب عليها الا الإباحة فهى سبب للإباحة فقط ، ولا تكون سببا لغيرها لأن الرخصة يراد بها التيسير والتسهيل على المكلف بدفع المشقة ورفع الحرج عنه يقول الشاطبى : إن حكم الرخصة الإباحة مطلقا من حيث هى رخصة ، بدليل قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ولأن الأصل فيها التخفيف ورفع الحرج عنه حتى يكون فى سعة واختيار بين الأخذ بالعزيمة والأخذ بالرخصة وهذا أصله الإباحة ، ولأن الرخصة لو كانت مأمورا بها ندبا أو وجوبا لكانت عزائم لا رخصا ..

وإذا كنا وقفنا فى كلام الشاطبى بعد ذلك على ما يصور اضطرابا فى مسلكه هذا (٣) فإن كثيرا من الأصوليين اتجهوا هذه الوجهة ، فمسلك الإمام الغزالى يشعر بذلك (٤) ومسلك الآمدى أيضا يدل على ذلك (٥) ، والقرافى المالكى كما ينقل عنه ابن امير حاج فى كتابه التقرير والتحبير (٦) ..

وينبغى أن نشير هنا الى أن جزئيات الرخص تدل على أن السبب فيها لا يخرج عن أحد أمرين يجمعهما وصف العذر وهذان الأمران هما : المشقة والحاجة ويدخل فى المشقة صور كثيرة منها إباحة الفطر ، وقصر الصلاة ، والجمع بين الصلاتين ، ويدخل فى الحاجة أكل الميتة ، والخنزير ، وشرب الخمر للمضطر ، وكل ما تدعو اليه الضرورة على ما بيناه تفصيلا فى نظرية الإباحة (٧) ، والذى يعنينا إبرازه هنا أن الرخصة سبب لطروء الإباحة .

ثانيا : النسخ باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

يطلق النسخ فى اللغة بمعنى الإبطال والإزالة ، كما يطلق بمعنى النقل والتحويل ، وفى اصطلاح الأصوليين والفقهاء يعرف بعدة تعريفات نذكر منها ما اختاره ابن الحاجب من انه رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر ، وهذا التعريف يخرج الأحكام التى وردت على الإباحة الأصلية باصطلاح الأصوليين لانه لا رفع فيها لحكم شرعى ، وإنما هو رفع لحكم عقلى . يقول صاحب كتاب كشف الأسرار : إن رفع الأحكام العقلية الثابتة قبل ورود الشرع التى يعبر عنها بالمباح بحكم الأصل ، بدليل شرعى متأخر لا يسمى نسخا بالإجماع (٨) .

والنسخ قد يكون إلى بدل مساو أو أثقل . وكلاهما ليس من محل بحثنا فى أسباب طروء الإباحة . وقد يكون النسخ الى بدل أخف كنسخ الحظر فى ادخار لحوم الأضاحى الى إباحته ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام . فكلوا ما بدا لكم واطعموا وادخروا » ، ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجة عن أبى مسعود بسند صحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر بالآخرة » ونظيرهما قوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجة عن بريدة : « كنت نهيتكم عن الأوعية فانبذوا واجتنبوا كل مسكر » .

فهذه الأحاديث وقع فيها النسخ من حظر الى تصريح ، وقد نص على ما يفيد الإباحة بعد رفع الحظر . بل وضع الأصوليون قاعدة عامة هى أن الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة .

وهذا النوع ــ الذى النسخ فيه الى بدل أخف ــ هو الذى يتحقق فيه ما نحن بصدده من طروء الإباحة بالنسخ ، كما أن هذا النوع لا خلاف فيه بين الأصوليين القائلين بالنسخ ، لأن معنى النسخ وحكمه متحقق فيه إجماعا لوضوحها وعدم تطرق الشبه اليها .

وقد يكون النسخ لا إلى بدل عند جمهور الأصوليين ، وقد مثلوا له بنسخ وجوب الصدقة بين يدى مناجاة الرسول ، ويمثل له بعضهم بحل الرفث الى النساء ، والأكل ، والشرب ، فى ليالى رمضان بعد النوم وقد كان ذلك محرما فى صدر الإسلام .

وخالف بعض الأصوليين فى جواز النسخ لا الى بدل ، وتأولوا المثال الأول بأن وجوب المناجاة نسخ الى بدل هو الجواز الذى يشمل الإباحة والندب على ما ذكرنا فى مقال سابق . ورد بعضهم المثال الثانى بأن الحل منصوص عليه فهو نسخ الى بدل ، لأن المراد بالبدل ورود النص على الحكم الناسخ . وهذا المعتبر فى نظرنا لأن بقاء الفعل من غير حكم شرعى متعلق بفعل المكلف ممنوع مطلقا بالإجماع ، على معنى انه إذا لم ينص على حكم بعد النسخ يصار الى الإباحة التى هى جنس فى الواجب ، أو الى ما كان عليه قبل الحكم المنسوخ من إباحة أو غيره على خلاف فى ذلك منشؤه انه إذا نسخ الوجوب من غير نص على بدل فإنه يدل على بقاء الجواز بمعنى التخيير بين الفعل والترك الذى هو مدلول الإباحة . وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء (٩) ، والذى يعنينا هنا أن نقرر أن طروء الإباحة بالنسخ يكون بأحد أمرين :

الأول : نسخ كل من الواجب والمحظور الى بدل يدل على الإباحة ، وذلك كحل الأكل ، والشرب ، والرفث ، للصائم فى ليالى رمضان بعد النوم الذى نسخ فرضية الإمساك بعد النوم ، وكما فى إباحة ادخار لحوم الأضاحى الذى نسخ الحظر السابق . إذ أن الحظر إذا لم يكن مقيدا بحال من الأحوال أفاد النسخ ودل على الإباحة عند أكثر الفقهاء .

الثاني : نسخ الوجوب لا الى بدل عند من يقول بأن نسخ الوجوب لا الى بدل يفيد الإباحة على ما ذكرنا .

ثالثا : الاستحسان باعتبار انه سبب لطروء الإباحة :

والاستحسان فى اللغة عد الشيء حسنا ، وفى الاصطلاح نعرفه بما عرفه به الكرخي :
من أنه عدول فى مسألة عن مثل ما حكم به فى نظائرها الى خلافه لوجه هو أقوى يقتضي العدول عن الأول . ونستطيع أن نرجع أنواع الاستحسان الى استحسان قياسى ، واستحسان استثنائى ، ونستبعد الأول لأنه بعيد عن موضوعنا أما الثاني وهو الحكم المستثنى من أصل كلي أو قاعدة عامة لدليل خاص يقتضي ذلك . فهو الذي يكون سببا لطروء الإباحة ، ويعتبر من الرخص الشرعية . ومن أمثلة هذا النوع ما أوردناه سابقا عند الكلام عن الرخصة باعتبارها سببا لطروء الإباحة . ومن ذلك السلم ، والإجارة ، والاستصناع ، فإن كلا منها وقع فيه التعاقد على معدوم وهو مما يبطل البيع بحسب الأصل لما فيه من الجهالة ولكنه أبيح التعاقد على هذه الأشياء لضرورة حاجة الناس اليها .
وتستند إباحة هذه الأشياء الى أدلة شرعية . فالسلم يستند الى السنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه النهى عن بيع ما ليس عند الإنسان وأرخص فى السلم . والإجارة تستند الى قوله تعالى « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » كما تستند الى السنة ايضا ، وأما الاستصناع فإنه يستند الى إجماع المسلمين على إباحة التعامل بـه .
ومن صور طروء الإباحة هنا . إباحة الترخيص بنظر الطبيب إلى موضع المرض من بدن المرأة الحرة فإن ذلك مستثنى من قاعدة تحريم النظر الى بدنها ، وعلة الاستثناء الضرورة ، وهذا المثال يتجلى فيه معنى الاستحسان الاستثنائى ، ومعنى الرخصة أيضا ، لأن الحكم شرع على خلاف الدليل لوجود دليل آخر . والإباحة هنا طرأت بعد الحظر .

وقد اعتبر الشاطبي الترخيصات التى من هذا القبيل مندرجة تحت الاستحسان فيقول : ومن الاستحسان ايضا سائر الترخيصات التى من هذا القبيل . فإن حقيقتها ترجع الى اعتبار الحال في جلب المصالح ودرء المفاسد حيث كان الدليل العام يقتضي منع ذلك ، لأنا لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدى الى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة فكان الواجب مراعاة ذلـك ..

رابعا : العرف باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

العرف فى اصطلاح الشرعيين : ما استقر فى النفوس من جهة المعقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول . والعرف له سلطته واقتداره فى وضع أحكام طارئة تدعو اليها الحاجة فيكون بذلك سببا لطروء الإباحة ، ومن أمثلة ذلك إباحة استئجار الأجير ببعض ما يعمل فيه فيما تعارفه الناس مع ورود النهى عن ذلك فيما أخرجه الدارقطني والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام نهى عن قفيز الطحان لأن فى ذلك نقضا لشرط من شروط عقد الإجارة ، وهو القدرة على تسليم الأجر وقت التعاقد (١٠) ، وجمهور الفقهاء على العمل بمقتضى ذلك النهى فى غير ما جرى به العرف ، إذا ما تعارف الناس على بعض جزئيات من هذا النوع فإن ذلك التعارف يرفع الحظر ويحل محله الإباحة الطارئة . ومن هذا ما يتعامل به الزارع فى القرى من إعطاء بعض القمح لدارسه أو ذاريه أو حامله من الحقل أو من الجرن ونحو ذلك ، ويمكن أن يدخل فى هذا ما تعطيه الدولة لشركات البترول من نصيب ، وإن كان هو أقرب الى الجمالة منه الى هذا .

خامسا : المصلحة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

نقصد بالمصلحة هنا المصلحة التى لم يرد نص من الشارع يدعو الى اعتبارها أو عدم اعتبارها مع أن فى اعتبارها والأخذ بها جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهذه يطلق عليها الأصوليون : المصلحة المرسلة ، ومثلوا لها بجمع القرآن فى عصر أبى بكر حفظا له ، وحمل الناس فى عهد عثمان على مصحف واحد وإحراق ما عداه ، ومحاربة أبى بكر لمانعى الزكاة ، ونقل العز بن عبد السلام عن الشافعى أنه قال : لو عم الحرام فى بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو اليه الحاجة ولا يقف تحليل ذلك عند الضرورة . لأنه لو وقف عليها لأدى الى ضعف العباد ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقوم بمصالح الأنام .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة قد تطرأ بسببها أحكام مختلفة من بينها الإباحة ، كما يتجلى ذلك فيما قيل من مبايعة المفضول مع وجود الأفضل . وقد وسع بعض الفقهاء من الصحابة والتابعين أن يمتنعوا عن مبايعة يزيد فى حين أن الكثرة منهم رأت مبايعته . وهذا يدل على أن هناك مندوحة تتسع لكل من الإقدام على المبايعة والإحجام عنها ، وذلك هو معنى الإباحة بالتفسير الأصولى الأخص وهو التخيير .

سادسا : الذرائع باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

الذريعة كما يقول ابن القيم ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء . وقد قسم الفقهاء الذرائع الى اربعة اقسام والذى يعنينا منها قسمان :

١ ـ الذرائع التى وضعت للمباح لكنها قد تفضى الى مفسدة والمصلحة ارجح كالنظر الى المخطوبة والمشهود عليها للتعرف . وقالوا : إن هذا النوع جاءت الشريعة بإباحته أو استحبابه أو وجوبه بحسب درجته فى المصلحة .

٢ ـ الذرائع التى وضعت للمباح لكنها قصد بها التوصل الى المفسدة كمن يتزوج بقصد تحليل الزوجة لمطلقها الذى بانت منه بينونة كبرى، وكمن يتعاقد على سلعة ليصل الى الربا عن طريق هذا التعاقد كما فى بيع العينة ، وقد اختلف الفقهاء فى هذا النوع . فمنعه بعضهم وكرهه البعض

وطروء الإباحة بسبب الذريعة واضح بالنسبة للنوع الأول الذى أوردناه فإن النظر الي الأجنبية كان محظورا لكنه ابيح باعتبار انه وسيلة الى تحقيق مصلحة راجحة وهي إتمام الزواج ، أو التمكن من أداء الشهادة .

أما النوع الثانى الذى أوردناه فإنه بالتأمل والنظر يبدو أن من يقول بجواز مثل هذه العقود ينظر الى مفاهيمها الشرعية على الوجه الذى كانت محرمة عليه فيحتال على تغيير هذه المفاهيم بوضعها فى صور أخرى مباحة ، وبذلك تكون حقيقة الأمر أن الفعل الذى كان محظورا أصبح بعد ذلك الاحتيال أو التغيير الصورى مباحا . فمن هذه النظرة تكون الذريعة سببا لطروء الإباحة عند من أجاز ذلك .

وبعد هذه الأسباب التى ذكرنا أنها تفيد طروء الإباحة نستطيع أيضا ان نستنتج أسبابا أخرى تفيدها ، ومن ذلك ما قالوه : من إباحة الظفر بالحق أو جنسه عند المدين المماطل ، فإن الفقهاء متفقون على أن من وجد نفس حقه الذى عند آخر مالا أو عروضا وكان يماطله فى رده ، فإنه يباح له ديانة فقط ان يسترده منه ولو خفية إذا ظفر به . واختلفوا فيما إذا ظفر بجنس حقه على ما بيناه تفصيلا فى مواضيع أخرى (١١) .

ويدخل فى أسباب طروء الإباحة أيضا إذن العباد بعضهم لبعض فى تناول الأموال والمنافع والأعراض بالوجوه المشروعة ، ومن ذلك أيضا ما دل عليه حديث الشيخين وهو قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرىء مسلم الا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فقد أفاد هذا الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة سبب لطروء الإباحة لهذا الدم الذى كان معصوما لولا وجود سبب من هذه الأسباب .

وبعد فإن أسباب هذه الإباحة الطارئة استنتجناها نتيجة ممارسة واستقراء ، ولم ندع بذلك استيعاب كل ما يمكن أن يكون سببا لطروء الإباحة ، فإنه يمكن أيضا فى بعض الأحوال والصور أن يكون من سلطة

ولى الأمر تغيير بعض الأحكام ومنها المباح الذى قد تقضى المصلحة أن يحكم بتحويل كل من الواجب والمحظور إليه على ما بيناه فى كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » ..

بقى أنه ينبغى لنا فى ختام الكلام عن أسباب الإباحة الطارئة فى الفقه الإسلامى أن نشير الى أن هناك أشياء تشبه المباحات من جهة ان فى كل منها رفع الإثم والحرج من الشارع ، إلا أنها تتميز عن المباحات بأنه لم يرد فيها خطاب من الشارع للشخص نفسه ، وإنما ورد الخطاب بشأنه لمن له عليه ولاية رافعا العقاب عنه فى الدنيا ومبينا بأنه لا حساب عليه فى الآخرة . وما كان من هذا النمط لا نستطيع أن نسميه من المباحات وإنما هو من قبيل ما يسمى فى القانون الجنائى بموانع المسئولية . كأن يكون الشخص غير أهل للتكليف فإن الفعل نفسه يبقى غير مباح واجبا كان أو محظورا ، ولذا فإنه إذا تضمن الفعل إتلافا أو اعتداء ضمن فى ماله فقط مع أن المسئولية تثبت كاملة بالنسبة لمن شاركه ممن توافرت له الأهلية والإرادة على ما بيناه فى موضعه من الكتاب المذكور ، وقارنا بين أسباب الإباحة الطارئة التى ذكرناها وبين ما جاء به القانون الجنائى من أسباب مما لا يتسع له هذا المقال ولا يناسب عرضه فى هذا المقام .

وإنى إذ أختم هذا الموضوع فإنى أستميح القارىء العادى عذرا فيما قد يكون لاقاه فى قراءة ما كتبت فيه من عناء ، برغم محاولة تبسيط الموضوع وضغطه بقدر المستطاع ، والى لقاء فى موضوع آخر إن شاء الله .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا « مباحث الحكم عند الأصوليين » عند الكلام عن الحكم الوضعى والكلام عن السبب .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا الاباحة عند الاصوليين والفقهاء من ص ٣٦٩ — ٤٨٤ وقد سلكنا فى التفرقة بين الاباحة الاصلية والطارئة مسلكا قد يختلف عن مسلك الأصوليين الذين قصروا كلامهم فى الغالب على الاباحة الأصلية ، وقابلوا ذلك بالاباحة الشرعية .

(٣) انظر ذلك فى كتابنا الاباحة عند الأصوليين والفقهاء صفحة ٣٨٣ و ٣٨٤ والموافقات جـ ١ ص ٢٢٤/٢٢١ .

(٤) المستصفى جـ ١ ص ٩٩ .

(٥) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ١٨٩ .

(٦) جـ ٣ ص ١٥٣ ..

(٧) الاباحة عند الاصوليين من ٤١٣/٣٨٨ .

(٨) كشف الاسرار جـ ٣ ص ٨٧٨ .

(٩) الاباحة عند الاصوليين والفقهاء ص ٤٢١/٤١٧ ..

(١٠) وقد اجاز هذا التعاقد الامام أحمد بن حنبل ، والمزنى من الشافعية ، وطعنا فى سند الحديث ودلالته .

(١١) المقاصة فى الفقه الاسلامى بحث مقارن مطبوع سنة ١٩٥٦ المدخل للفقه الاسلامى.

مأساة المسلمين في بورما

حقائق حول اضطهاد المسلمين فى بورما .

يشكل المسلمون فى بورما اكبر اقلية من السكان ، إذ يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة من بين حوالى ثلاثين مليون نسمة ، ويعيش معظمهم فى المناطق الشمالية الغربية ، واما بقية الاديان الموجودة فى بورما فهى الديانة البوذية وهى ديانة اغلبية السكان ثم ديانة عباد الطبيعة .

ويتولى الحكم فى بورما حكومة اشتراكية من البوذيين ، وقد نالت استقلالها عام ١٩٤٨ م ، والعجيب أن المسلمين البورميين يلقون اقسى المعاملة من قبل حكومتهم الحالية ، فانهم يشردون من ديارهم ويرحلون منها وتفرض عليهم الضرائب الباهظة . ولما كان معظمهم من المزارعين والعمال فان الحكومة تبتز اكثر من ٩٠٪ من حاصل انتاجهم الزراعى وهناك امثلة كثيرة من قيام الحكومة بانتزاع ملكية الاراضى وكل شىء من المسلمين بالذات .

وقد قرأت فى مجلة المجتمع الكويتى العدد الثانى السنة الأولى الثلاثاء ١٧ من محرم الموافق ٢٤ من مارس ١٩٧٠ (انه جاء الى الكويت شاب بورمى وقال لرئيس تحريرها لقد انتزعوا منا كل شىء ، كنت ووالدى نتاجر فى الادوات الكهربائية وكان راس مالنا يعادل مليون روبية ، وكانت تجارتنا مزدهرة ولكن الحكومة الاشتراكية العسكرية فى بورما لم يرق لها ذلك فاصدرت امرا بتاميم جميع اموالنا ولم يبق لنا إلا عقارات بسيطة لم يسمح لنا ببيعها وهى معرضة للتاميم وفررت من بورما الى الهند وهمت على وجهى بحثا عن عمل وتركت زوجتى فى الهند وجئت الى الكويت .

اما موقف الحكومة البورمية من الحرية الدينية فانها تحارب ممارسة الشعائر الاسلامية فلا يجرؤ احد تقريبا على اعتياد المساجد ونادرا ما تسنح الفرصة لاقامة صلاة الجمعة حتى ان المسلمين لا يسمح لهم بالخروج من مناطقهم وتسحب بطاقاتهم الشخصية ويزج بكثير منهم فى السجون لا لشىء الا لانهم مسلمون حتى فريضة الحج لم تسمح حكومة بورما لاحد من المسلمين لادائها . فمنذ عام ١٩٦٢ م لم يخرج احد من بورما حاجا الى بيت الله الحرام حتى الآن .

وتبذل رابطة العالم الاسلامى قصارى جهدها فى سبيل اقناع حكومة بورما للسماح للمسلمين لاداء فريضة الحج ولاصلاح حالهم ووضعهم .

إننا نناشد الاقطار الإسلامية الحرة فى العالم ان تتدخل لحماية المسلمين من هذا الاضطهاد الشديد وان تمد يد العون والمساعدة للمهاجرين من بورما فى العالم الاسلامى فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم)) .

كما نرجو من هذه الحكومات الاسلامية عامة والعربية الشقيقة خاصة ان ترفع هذه المشكلة للامانة العامة لمؤتمر وزراء الخارجية الاسلامية والى الامين العام للامم المتحدة عسى ان يحقق فى الامر ، والله الموفق وهو الهادى الى سواء السبيل .



— ١ —

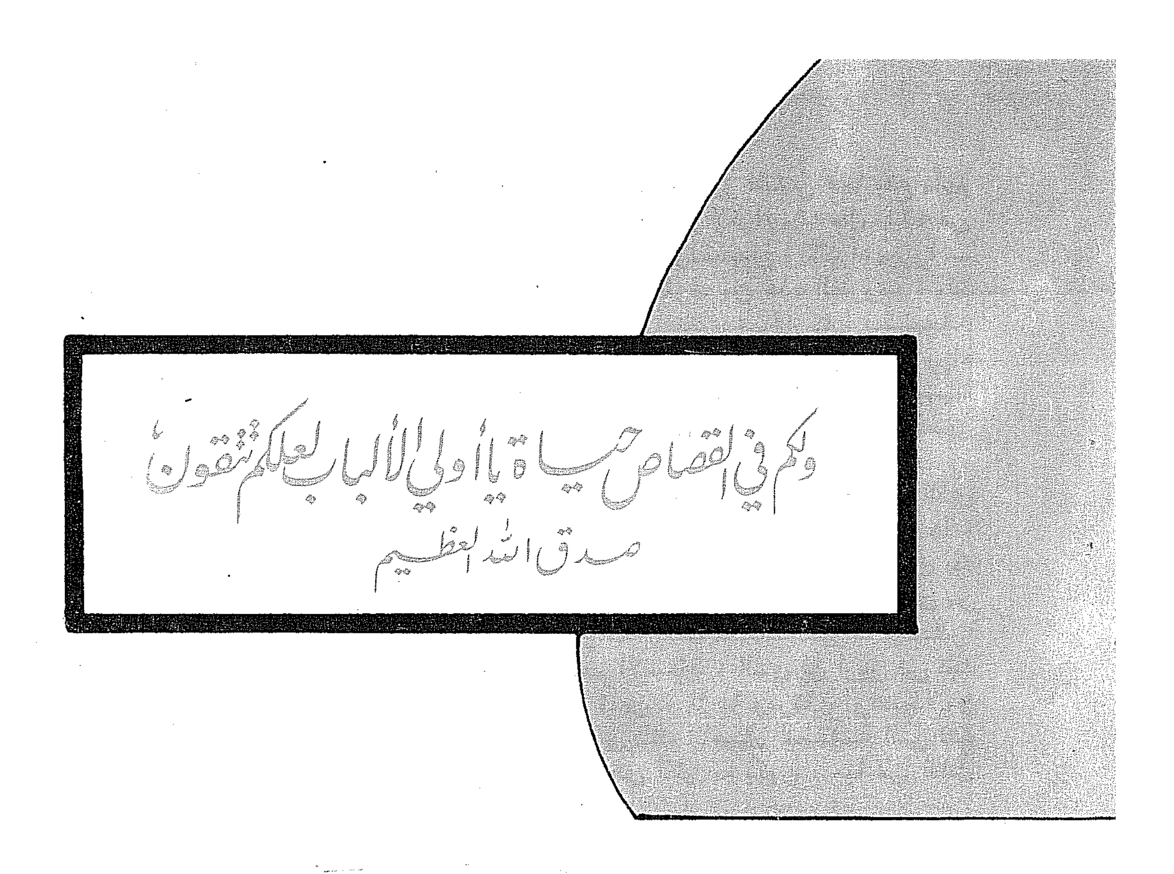
في العدد الثامن والتسعين من مجلة « الوعي الاسلامي » (غرة صفر سنة ١٣٩٣) — وقف بنا الحديث عن الحدود في الإسلام ، عند حد القتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وذلك بعد أن عرضنا لحكمة الحدود التي أوجبها الإسلام على بعض الجرائم والمنكرات ، وما تنطوي عليه هذه الحكمة من آثار بالغة في حفظ كيان المجتمع الإنساني ، واحترام ناموسه ، وإقرار أمنه ونظامه ، فضلا عما تبعث هذه الحدود القائمة بسلطانها على كل فرد في المجتمع ، من إشاعة روح الأمن والسلام في النفوس ، والهتاف بها الا تخرج عن صورة الإنسانية السوية الكريمة ، التي خلق الله تعالى الإنسان عليها ..

وقد عرضنا في الحديث لما يتساقط من افواه بعض السفهاء من الناس ، من مفتريات على الإسلام ، واتهام له بالهمجية والوحشية في العقوبات التي فرض إقامتها في صورة علنية على مرتكبي جرائم الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر .. ثم كشفنا عن وجه الحكمة في حد الزنا ، وفي التفرقة بين المحصن وغير المحصن ، في صورة الحدّ الذي يقام على كل منهما .

ونعود في حديثنا هنا الى بقية الحدود ، وليكن حديثنا اليوم مقصورا على جريمة القتل ، وموقف الإسلام من هذه الجريمة ، وما رصده من عقاب لمرتكبها .

— ٢ —

وبادىء ذي بدء ، فقد فرق الإسلام في القتل بين ما هو قصد وعمد ، وما قد وقع عن خطأ ، ومن وراء النية والقصد .. إذ كان اعتداء الشريعة الإسلامية بأي قول أو عمل ، مردودا الى النية التي انعقدت عليه ، ودفعت به الى حيز



للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الواقع ، سواء فى ذلك الحسن أو السىء من الأقوال والأفعال ، حيث يكون مع الإنسان فى تلك الحال ، اختياره ومشيئته ، وإرادته .. فإذا وقع القول أو العمل عن خطأ ، أو نسيان ، أو إكراه ، لم يكن شىء من ذلك من كسب الإنسان ، ومن ثم لم يكن محسوبا له أو عليه ، فى مقام الثواب أو العقاب .. وفى هذا يقول الله تعالى : **« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان »** (٨٩ : المائدة) .. ومعنى تعقيد الإيمان ، توثيقها بالإرادة المدركة الواعية .. وما يجرى على الايمان ، يجرى على كل قول وعمل يصدر عن الإنسان .. يقول الله تعالى : **« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »** (٢٨٦ : البقرة) .. ويقول النبى الكريم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه . »

ثم لأن القتل ، سواء أكان عمدا أم خطأ ، هو إزهاق لنفس إنسانية ، هى نفخة من روح الله ، وفى إزهاق هذه النفس ، عدوان على الله ، وانتهاك لحرمته فى هذا الإنسان الذى سوّاه بيده ، وأقامه خليفة له فى الأرض ، وأمر ملائكته بالسجود له يوم مولده ، احتفاء بظهور هذا الكائن العظيم . الذى أودع فيه الخالق العظيم من صفاته : العلم ، والقدرة ، والإبداع ، والخلق ، والإرادة .. وفى الحديث الشريف : « خلق الله آدم على صورته » (رواه البخارى ومسلم) ..

من أجل هذا أقام الله تعالى فى شريعته ، حراسة ، دائمة ملازمة للإنسان تدفع عنه عوادى العدوان على حياته ، التى هى ملك لله وحده ، لا يجوز لأحد أن يسلبها غير الله ، إذ لم يكن أحد يستطيع منحها غيره سبحانه .. فأوجب سبحانه وتعالى القصاص ممن يتعدى حدود الله ، ويقتل نفسا أحياها الله ..

وإذا كان سبحانه ــ رحمة منه وإحسانا ــ قد تجاوز للناس عما يقع منهم من أعمال سيئة عن غير نية أو قصد ، كالخطأ والنسيان والإكراه فإنه جل شأنه فى جانب إزهاق نفس الانسان واراقة دمه لم يجعل الخطأ والنسيان والاكراه مبررا ــ على إطلاقه ــ للتجاوز عن قتل اى نفس ، تحت اى ظرف من هذه الظروف ، ولم يجعل دم الإنسان يضيع هدرا من غير محاسبة ، للقاتل ، وإن كان سبحانه قد خفف الحساب والمؤاخذة ، تحت هذا الظرف الذى وقع فيه القتل من وراء قصد الإنسان ، وذلك ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن امرا عظيما فظيما قد حدث : « **تكاد السموات يتفطرْن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً** »

حقا ، إن هذا القاتل ، إنما قتل عن غير قصد أو نية ، الأمر الذى يستوجب ــ رحمة وعدلا ــ الا يسوّى حسابه فيه ، على ميزان من قتل عمداً ، وبغيا .. ولكن لا بد ان ينظر ــ مع هذا ــ الى ذلك الإنسان الذى قتل بيد أخيه الإنسان ، وأن ينال قاتله بعض العقاب على فَعلته تلك ، الأمر الذى من شأنه أن يجعل عوارض الخطأ فى هذا المقام واقعة تحت حساب دقيق ، ومحاذرة واعية ، مصاحبة لمشاعر الإجلال والإعظام لدم الانسان ، الذى إن أريق فى تلك الحال ، اهتزّت له السموات والأرض ومن فيهن ، فزعا وفرقا ، وهذا من شأنه أن يقيم فى نفس الإنسان وازعا يزعه عن تلك الأعمال الطائشة التى تقع عن استخفاف واستهتار وغير مبالاة ، والتى هى أكثر ما تكون سببا فى القتل الخطأ !!

ــ ٣ ــ

لهذا أوجب الإسلام فى القتل الخطأ تلك العقوبة ، التى هى وسط بين القصاص والعفو ، القصاص فى جانب القتل ، والعفو فى جانب الخطأ ..

يقول الله تعالى : « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلّمة الى أهله إلا أن يصدّقوا .. فإن كان من قوم عدوّ لكم ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما** » (٩٢ : النساء) ..

والآية الكريمة فى هذا ، واضحة المعالم ، بيّنة الحدود ، فى تسوية الحساب لهذه النفس التى قتلت خطأ ، بغير جناية جناها صاحبها ..

فأولا : استبعدت الآية الكريمة ــ فى استنكار بالغ ــ أن يقتل مؤمن مؤمنا ، فهذا الفعل المنكر ، لا يصح أن يقع من إنسان مؤمن بالله ، يتوقى حدود الله ، ويحذر محارمه ، ويحترم إرادته ..

وثانيا : استثنت الآية الكريمة ، من استنكار قتل المؤمن للمؤمن ، أن يكون هذا القتل عن خطأ ، إذ كان الخطأ فى عمومه ، مما تجاوز الله تعالى عنه ، لهذه الأمة ، رحمة بها ، وإحسانا اليها ..

وثالثا : ليس هذا التجاوز عن القتل الخطأ على إطلاقه ، بحيث يمضى القاتل ، وكأنه لم يفعل شيئا ، ولم يأت أمرا إدّا ..

فقد أوجب الإسلام على القاتل ــ لكى يتطهر من هذا الدم الذى علق بيده ــ أمورا هى :

١ ــ أن يحرر رقبة مؤمنة ، فيخلصها بذلك من العبودية ، التى هى فى حقيقتها ، إهدار لإنسانية هذا الانسان ، وقتل بالحياة الآدميته .. وفى خلاص هذا الرقبة من العبودية إحياء لها من الموت ، وبعث لها من بين الأموات .. وكأن القاتل بهذا قد أحيا نفسا مؤمنة ، بدلا من تلك النفس المؤمنة التى قتلها

خطـأ . . وبذلك يكون قد سوى حسابه مع الله ، إذ قتل نفسا ، وأحيا نفسا . . كما انه قد سوّى حسابه مع الإنسانية ، إذ قد انتزع منها إنسانا ، وقدّم لها إنســـــانا !!

٢ ــ إذا لم يجـد القاتل بين يديه الرقبـة التي يعتقها ، أو المال الذي يشترى به رقبة ليعتقها ــ وجب عليه صيام شهرين متتابعين ، فانه ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) . .

٣ ــ بقى بعد هذا أن يسوّى القاتل للنفس المؤمنة خطـأ ، حسابه مع أولياء دم القتيل . . وهؤلاء الأولياء ، تحكمهم ثلاث صور :

ا ــ أن يكونوا من المؤمنين ، وهم فى هذه الحال مخيرون بين أخذ الدية ، أو التصدق بها على القاتل ، وقد حثهم الله تعالى على التصدق . . وحسب القاتل ما يعالج من آلام وهموم ، من قتل هذه النَّفس المؤمنة !.

ب ــ أن يكون أولياء دم القتيل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، هم فى وجه عداوة للمؤمنين ، وفى حرب ظاهرة أو خفية معهم . . وفى هذه الحالة لا تقدم لهم الدية ، لأن فى تقديمها عونا لهم بها فى حربهم مع المؤمنين . .

جـ ــ أن يكون أولياء دم القتيـــل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، ولكن بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق بالموادعة والسلام . . وهنا يجب أن تقدم لهم الدية ، من مال القاتل ، فان لم يكن فى مال القاتل ما يتســـع لها ، أو لم يكن ذا مال أصلا ، تولت الجماعة المؤمنة تقديمها لهم من بيت مال المسلمين . . ولا يقبل منهم التصـــدق بها على القاتل ، لأن هذا المال المقدم لهم على سبيل الدية ، هو حق لهم ، وهو إذا وقع لأيديهم أصبح مالا خبيثا ، لا يوضع موضع الصدقة !!

ــ ٤ ــ

هذا عن القتل الخطـأ . .

أما القتل العمد ، فهو رأس الجرائم ، وكبيرة الكبائر ، والله ســـبحانه وتعالى يقول : ((**ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنمُ خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعدّ له عذابا عظيما**)) (٩٣ : النساء) . .

هذا هو حساب الله تعالى للقاتل ، وذلك وعيده له فى الآخرة . .

أما حسابه فى الدنيا ، فقد أمر الله تعالى بالقصاص منه ، وقتـــله بتلك النفس التى قتلها ، عن عمد ، ظلما وعدوانا . . والله سبحانه وتعالى يقـــول : ((**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل . . إنه كان منصـــورا**)) (٣٣ : الإسراء) . .

فالقاتل هنا ، لا يقبل منه تحرير رقبة ، ولا دية مسلمة الى أهل القتيل ، ولا صيام شهرين متتابعين ، وإنما يقاد للقصاص ، ويقدم الىّ أولياء دم القتيل ، ليقتصوا منه بقتيلهم . . فهو فى تلك الحال فى حكم المقتول . . ثم ان لأولياء الدم بعد هذا أن يقتلوه ، أو يقبلوا الدية منه ، أو يعفو عنه . . وذلك حســـب مشيئتهم فى القاتل ، وفيما يقع فى تقديرهم للظروف والأحوال المتلبسة به . . فان قتلوه ، كان قتلهم إياه حقا وعدلا ، وان قبلوا منه الدية كان ذلك منهم إحسانا ورحمة ، وان عفوا عنه ، كان ذلك فضلا وتسامحا . . وذلك كله مضاف الى حسابهم ، وليس للقاتل شىء منه !

وهـــذا القصاص إنما هو عقوبة دنيوية للقـــاتل ، وحق مطلق لأولياء دم القتيل ، ولولىّ الأمر القائم على جماعة المؤمنين . . وذلك ليكون عبرة رادعـــة لغيره ، ووازعا قاهرا يزع من تحدثه نفسه بالإقدام على قتل غيره . . وفى هذا صيانة لدم الإنسان ، حتى لا يكون فى الناس من تحدثه نفسه بقتل إنسان ، ثم

يظن ، أو يوقن أنه بمنجاة من القتــل .. وبهذا تموت كثير من نوازع القتــل ، وتَغْرُبُ كثير من الخواطر التى تتردّد فى صدور بعض الناس للإقدام على قتل غيرهم .. والله سبحانه وتعالى يقول : ((**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين**)) (٢٥١ : البقرة) .. ويقول جلّ شأنه : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقــون**)) (١٧٩ : البقــرة) ..

فالقصاص من القاتل ، ــ وان كان فى صورته الظاهرة موتا لإنسان ، وقتلا لنفس ــ هو فى حقيقته ، حياة للناس جميعا ، وحماية لهم من قتل ذريع ، لا يبقى ولا يذر .. ويدخل فى ضمان هذه الحياة ، هذا القاتل نفسه ، والقتيل الذى قتله ، ظلما وعدوانا !!

ففى قوله تعالى : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) ، وفى تنكير كلمة ((حياة)) ما يتسع لهذه المعانى كلها ..

فأولا : القصاص من القاتل ، يمسك كثيرا من الأيدى عن القتل ، فى ظروف واحوال ، تتحــرك فيها نوازع اصحابها الى العــدوان على غيرهم ، وإزهاق انفسهم ، فان اكثر ما يردّ الناس عن الاقدام على هــذه الفعــلة النكراء ، هو حرصهم على حياتهم ، وخوفهم من أن يقتص منهم بالقتل بمن يقتلونه .. فهــذا القصاص الراصد لهم ، هو الذى حفظ لهم حياتهم ، وحياة من كانوا يحــدثون انفسهم بقتلهم .. وهذا يعنى أن قيام القصاص فى القتل دستورا عــاملا فى الحياة ، هو الذى أبقى على حياة الناس ، ولولا هذا لاستخف الناس بالقتل ، ولم يزعهم من دين ضمير أو دين ، إلا من عصم الله ، والله سبحانه وتعــالى يقول : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) .. ويقول عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ ((**ان الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن .**))

وثانيا : هؤلاء الذين نفذوا جريمة القتل فى قتلاهم .. انهم لم يقدموا على ما فعلوا الا بعد تردد طويل ، قد يمتد سنين ، قبل الاقدام على القتل ، ووقــوع الجريمة ، حرصا على حياتهم ، وخوفا من الموت الراصد لهم فى القصاص منهم ، وبهذا التردد ، وتلك المطاولة ، حياة لهم ، وحياة لقتلاهم ، مدة امتدت من وقت الهمّ بالقتل ، والنزوع اليه ، الى وقت التنفيذ ، ولو انهم استجابوا لأول خطرة تخطر لهم بالقتل ، لخسروا هذه الفترة من حيــاتهم ، كما يخسرها من عجلوا بقتلهم .. هذا ما ينطق به واقع الحياة ، اماان لكل اجل كتابا ، وأما أن لكل أمة أجل ، اذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فذلك غيب لا يعلمــه الا الله ، واليه وحده سبحانه مرده ، وبيده وحده سبحانه الحكم فيه .

وفى قوله تعالى : ((**لعلكم تتقون**)) .. إشارة كاشفة لهذا الاثر العظيم الذى للقصاص فى حياة الناس ، وأنه أقوى قوة عاملة فى حفظ حياتهم ، وذلك بتجنب القتــل ، واتقاء عواقبــه الوخيمة التى يجــرها القتل على القــاتل ، بالقصاص منه ..

ــ ٥ ــ

بهذا التدبير الحكيم ، فيما شرع الله تعالى من القصاص فى القتل ، حفظ سبحانه كثيرا من النفوس أن تقتل ، وكثيرا من الدماء الإنسانية أن تراق .. وفى ذلك ــ كما أشرنا من قبل ــ إشعار بما للإنسان من مكانة كريمة عند الله ، من بين المخلوقات ، وأن دمه عزيز على الله أن يراق على الأرض ، كما يراق دم الحيــوان ..

وفى التعقيب على ما حدث بين ابنى آدم من عدوان أحدهما على الآخــر

وقتله ــ يقول الله تعالى : ((**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها ، فكانما أحيا الناس جميعا**)) (٣٢ : المائدة) .

فاذا كان القتل عدوانا على الله ، الذي بيده وحده سبحانه الحياة والموت ، واذا كان الانسان لا يملك من أمر الحياة شيئا ، فليس له أن يملك من أمر الموت شيئا كذلك .. وإذن فانه من تعدى حدوده ، واجترأ على حرمات الله ، لم يكن له عند الله حرمة ، ولله سبحانه غيرة على حرماته ان تنتهك ، وعلى حماه أن يُستَبَاح ، وعلى مقدساته أن تكون بمعرض البغى والعدوان ..

وإنه بسبب حرمة الحيــاة الانسانية وقداستها وكرامتها فرض الله هــذا الفرض على بنى إسرائيل وجعله حكما قائما عليهم ، وهو : ((**أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا**)) .. ذلك أن قتل نفس واحدة ، هو فى حقيقته قتل لإنسان هو شجرة الانسانية كلها ، وكذلك الشأن فيمن أحيا نفسا إنسانية ، بأن كف يده عن العدوان عليها ، أو دفع يدا معتدية عليها . وهذا يعنى أن من قتل نفســا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا !!

فالإنسان ــ أى إنسان ، يمثل الإنسانية كلها ، إذ كان خلق الانسانية كلها جميعا من نفس واحدة ، هى النفس السارية فى كل إنسان ، والتى هى نفخــة من روح الله .. يقول الله تعالى : ((**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**)) (١ : النساء) .. ففى كل إنسان قبس من هذه النفخة المقدسة ، التى كانت منها الإنسانية كلها .. فمن قتل نفسا ، فقد أخمد تلك الشعلة المقدسة ، التى هى أصل الحياة ، ومن أحيا إنسانا ، أى لم يعرض له بسوء ، أو دفع عنه سوءا يتهدد حياته ، فكأنمــا أحيا الانسانية كلها ، وترك شعلتها المقدسة متقدة .

وهذا الحكم الذى أخذ الله تعالى به بنى إسرائيل ، هو حكمه تعالى فى الناس جميعا : ((**أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا**)) هذا هو حكم الله تعالى على الناس كلهم ، وإنما توجه هــذا الحكم من الله تعالى إلى بنى اسرائيل ، لأمرين :

أولهما : أن بنى إسرائيل ، هم أسوأ صورة إنسانية للإنسان ، وفى طبيعتهم النكدة اجتمع كل ما فى الناس من أبشع صور البغى والعدوان .. فهم أسرع الناس الى قتل النفوس ، وإزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، ما أمكنتهم الفرصة ، وأسعفتهم الأحوال ، إرواء لتلك الطبيعة المتعطشة الى امتصاص أموال الناس ودمائهم ، حتى إنهم لم يرعوا لرسل الله وانبيائه اليهم حرمة لدمائهم ، فقتلوا كثيرا من هؤلاء المبعوثين اليهم من عند الله ، يحملون اليهم الدواء ، لما اندسَّ فى كيانهم من علل وأمراض .. يقول الله تعالى فيهم ، منذرا بالويل والبلاء لهــم : **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**)) (٨٧ : البقرة) .

وثانيهما : أن شريعة بنى إسرائيل التى انزلها الله تعالى على موسى ، كانت أقدم الشرائع السماوية العاملة فى الحياة ، الى أن أدركها الإسلام ، ونظر فيها وفى اتباعها .. فكان ما نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى قــوله تعــالى : ((**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحيــاها فكانما أحيا النــاس**

جميعـــا » ـــ كان هذا القول الكريم ، مواجهة للمسلمين ، بما شرع الله تعالى لهم من شرع كان قد شرعه من قبل لأمم سبقتهم ، كما يقول سبحانه : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** (١٣ : الشورى) .. كما كان ذلك تذكيرا لبنى إسرائيل بما فرضه الله تعالى عليهم فى الدماء ، وحرمتها ، حتى يقيمـــوا التوراة على وجهها الذى اقامها الله تعالى عليه ، وحتى يستقيموا على شريعة الله ، بعد أن انحرفوا عنها ، وافسدوا معالمها بالتبديل ، وسوء التأويل .

ـ ٦ ـ

واكثر من هذا ، فان حرمة دم الإنسان فى الشريعة الإسلامية ، لا تقف عند حد تجريم من قتل غيره ، واخذه بالقصاص منه فى الدنيا ، ورصد العقاب الأليم له فى الآخرة ، مرجوما بغضب الله ولعنته ـــ بل إن تلك الشريعة قد جردت قاتل نفسه ، واخذته بما تأخذ به القاتلين غيرهم عمدا ، وانزلتهم منازلهم فى نار جهنم خالدا فيها .. ذلك أن هذا القاتل لنفسه ، قد اعتدى على حياة مقدسة ، ألبسها الله تعالى إياه ، وتولى بنفسه ما هو حـــق الله فيه ، فالله سبحانه هو الذى ينزعهـــا منه متى شـــاء .. يقـــول ســـبحانه وتعـــالى : **« كيف تكفـــرون بالله ، وكنتم امواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون »** (٢٨:البقرة)

فهذا الذى استعجل موت نفسه ، وعمد بيده الى إزهاقها ، لضيق نزل به ، أو مرض اشتد عليه ، أو مصيبة اصابته فى مال او اهل او ولد ، أو نحو هذا مما يدعو بعض الناس الى الفرار من الحياة بالانتحار ـــ هـــذا الإنسان ، هو سىء الظن بربه ، كافر به وبقدرته ، متبرم بقضاء الله متمرد على حكمه فيه ، فكان جزاؤه عند الله هذا الجزاء الأليم ، الذى يتناسب مع فعلته الآثمة ، والذى هو من جنس عمله .. يقول رسول الله ، ـــ صلوات الله وســـلامه عليه ـــ : **« من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده ، يجأ بها بطنه يوم القيامة ، فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا .. ومن قتل نفسه بسمّ تردّى به ، فسُمه فى يده ، يتحسّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا »** (رواه البخارى ومسلم) .. ويقـــول صلوات الله وسلامه عليه : **« من قتـــل نفســـه بشىء ، عذب به يوم القيامة »** .

ـ ٧ ـ

هذا هو مقام الحياة الإنسان ، وتلك هى منزلتها عند الله .. لا يرحم الله تعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة من لا يرحمها ، ولا يحفظ من لا يحفظها ، ولا يرعى حرمة لمن لا يرعى حرمتها فى نفسه أو فى غيره ..

ومع هذا ، فان مدنية الغرب ، والمخدوعين بهذه المدنية ، تستخف بقتـــل النفس ، وتستبيح دم الإنسان ، فى الأفراد والجمـــاعات والشـــعوب ، وتهلك الحرث والنسل ، ولا ترى فى ذلك ما ينخس ضميرها ، أو يحرك مشاعرها ، ثم هى مع هذا ترمى الإسلام بالقسوة وتتهمه بالحيوانية ، والوحشية ، والهمجية وتثير فى وجهه حربا شعواء ، لا لشىء إلا لانه جعل القصاص فى الدماء ، وقتل القاتل بمن قتله ، حكما من أحكام شريعته ، يقيمه بين الناس ، ويأخذهم به .. .. ثم ينتهون من هذا الى نتيجة ، هى أن هذه الشريعة هى من إفرازات الحياة البدوية القبلية ، التى ظهر فيها هذا الدين ، وطبع بطابعها ..

وإنك لترى القوم فى تبرير اتهامهم للاسلام بالقسوة والبربرية والوحشية ، والتعطش الى إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح ـــ تراهم هنا يحيلون الأمر الى عملية حسابية فى مجال الانتاج المادى ، ويقيمونها على ميزان الربح والخسارة

المادية ، ثم لا يحوجهم هذا الى اكثر من النظر الى قطعان الماشية التى يملكونها ، ليقيموا منها الحجة على ما يقولون !!

فهم يسألون او يتساءلون : إذا نطح حيوان حيوانا من هذا القطيع او ذاك ، فقتله .. أفيكون من العقل والمصلحة أن يقتل هذا الحيوان القاتل ؟ أن ما تقضى به المصلحة ، ويدعو اليه العقل هنا ، هو أن يعزل هذا الحيوان عزلا مؤقتا عن بقيــة رفاقه ،حمايةلها من بطشه وشراسته !! ثم ماذا يُجدى قتل هذا الحيوان القاتل ؟ أيعيد قتله الحيــاة الى الحيوان الذى قتله ؟ ثم ألا تكفى الخسارة فى قتل حيوان ، حتى يضاف الى ذلك قتل حيوان آخر ؟ ألا يعد ذلك من باب الحماقة والسفه ، وسوء الرأى ؟

إنهم يسوسون « القطيع » الإنسانى بما يسوسون به قطعان الحيوان ، وينظرون اليه تلك النظرة المادية التى ينظرون بها الى عالم الحيوان ، ويقولون ــ فيما يقولون ــ إنه قد قتل إنسان بيد انسان .. فان تكن الانسانية قد خسرت إنسانا واحدا بهذا القتل ، فانها ستخسر اثنين اذا قتل قاتله !

هكذا يسوى منطق القوم هذه القضية ، على تلك الصورة ، حتى إن قوانينهم الوضيعة التى لبست ثوب المدنية قد خلت تماما من النص على قتل القاتل ، مهما كانت الظروف التى قتل فيها ، مقدرة أن فى الحكم على القاتل بالسجن بضــع سنين ، ما يكفى لإصلاحه وتأديبه ، ثم عودته الى الحياة عضوا عاملا منتجا !! فهذا عند القوم كسب للحياة ، بالابقاء على حياة القاتل ، والعمل على إصلاحه ، وتقويم انحرافه ، دون أن ينظروا الى ما وراء ذلك من حرمان إنسان حق الحياة ، بفعلة هذا القاتل ، وما تترك هذه الفعلة من آثار مزعجة ، فى أهل القتيل ، من زوج ، وأبناء ، وآباء ، وإخوة وأخوات ، وغيرهم من ذوى قرابته ! ودون أن يقدروا أن ترك القاتل حيا ، مع الاكتفاء بحبسه تلك المدة المحدودة ، فيه إغراء له ، ولغيره بالإقدام على القتل ، مرة ، ومرة ، ومرات ؟

أما نظرة الإسلام الى جريمة القتل ، فهى نظرة عامة شاملة ، تحيط بها من جميع جوانبها ، وتحتويها ظاهرا وباطنا ، وتحسم شرها حاضرا ومستقبلا ..

ونعود فنذكر هنا ما قررته الآية الكريمة : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**)) .. من وجوب القصاص ، وقتل القاتل بمن قتله ، وما فى هذا القصاص من ضمان وثيق لحفظ الانسانية ، والابقاء على الجنس البشرى كله ، وانه لولا هذا القصاص ، لقتل الناس بعضهم بعضا بغير حســاب ، وبدون مبالاة ، ولجرت الدماء انهارا ، حتى ينتهى الأمر بألا يبقى من أبناء آدم الا اثنان هما أقوى أبنائه ، ثم لا يلبث الأمر بينهما طويلا حتى يعدو أحدهما على الآخر فيقتله ، وتعود الحياة الى سيرتها الأولى فيما كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل ، اللذين كانا كل ما فى الانسانية من آدميين على ظهر الأرض ، ومع هذا فقد عدا أحدُهما على الآخر فقتله ، ليكون له وحده السلطان على هذه الأرض !!

— ٨ —

ولا ننهى هذه الكلمة ، دون أن نشير الى أن كثيرا من دول الغرب التى حرمت إعدام القاتل فى قوانينها ، قد عادت أخيرا ، فجعلت الإعدام عقوبة فى قانون عقوباتها ، بعد أن أصبحت جرائم القتل فيها ، تقع جهــارا نهارا على أعين الناس ، وبعد أن أصبح من المألوف أن يكون العبث والهزل والتسلية ، من أكثر البواعث على القتل ، حتى إنه لا يتورع أحد الهازلين العابثين ، من أن يلعب لعبة

الموت هذه فيقتل أسرة بأسرها ، لا لشيء أكثر من أن يرفه عن نفسه ، ويسليها بهذا العبث !!

وإن أقرب مثل لتلك الدول التي أخذت تقرر عقوبة الاعدام في قانونها ، الولايات المتحدة ، التي طلب رئيسها منذ أيام ضرورة إدخال هذه العقوبة في قانون الدولة .. وذلك بعد أن أصبح القتل في الولايات المتحدة ، هو اللعبة المفضلة للتسلية والترفيه !!

ولا شك أن في هذا شهادة قائمة ناطقة بأن هذا الدين ، هو دين الله ، وان كلماته ، هي كلمات الله ، وأن أحكامه ، احكام الله ، وأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا نقض لأحكامه ، مهما امتدت الأزمان ، واختلفت الاوطان ، وأن نبح النابحون ، وَعَوى العاوون ..

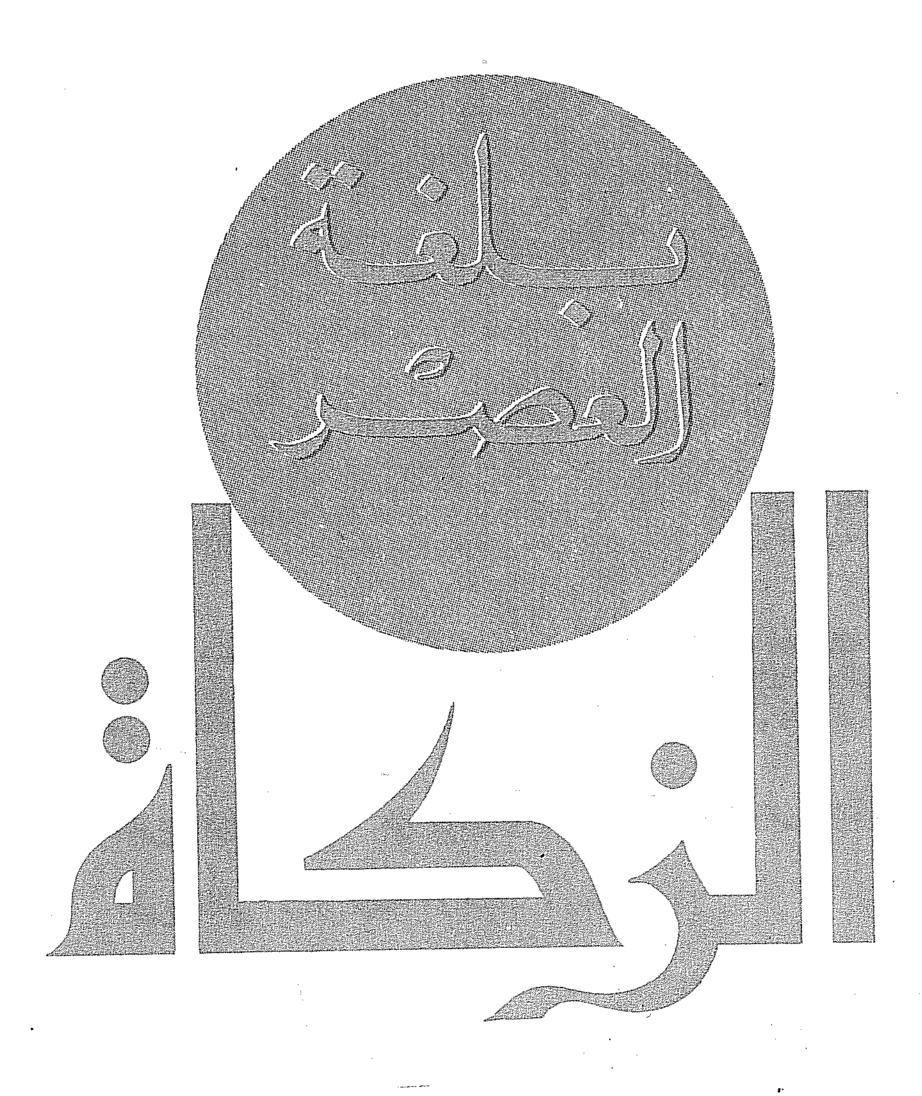
ثم لا بد من كلمة أخيرة نهمس بها في آذان أولئك المخدوعين المتهوسين ، المفتونين بأوربا وأمريكا من أبناء العروبة والاسلام !! والذين نراهم ونسمعهم يدعون — بغير فهم ولا عقل الى الغاء عقوبة الاعدام ، والتي يعدونها وصمة في جبين الانسانية ، وشهادة قائمة في الناس بأن ديننا يعيش في غير زمنه ، وأن أهله يعيشون في عصر غير عصرهم .. وهم في هذا الهراء ، يحسبون أنهم دعاة إصلاح ، وقادة نهضة !! وما هم في الواقع إلا ببغاوات حبيسة في أقفاص أوربية وأمريكية ، يلتقطون ما يلقى اليهم من يد سادتهم من حَبّ ، وما يطرق آذانهم من كلمات .. ثم ينقلون هذه الكلمات على نحو ما سمعوها ، دون أن يعقلوها ، أو يعرفوا لها مدلولا ..

هكذا أولئك المتهوسون الببغاويون ، في كل ما ينعقون به من غريب الآراء ، وبدع الدعوات .. انهم لا يعدون أن يكونوا « اسطوانات » معبأة بالدعوات المضللة ، والمفتريات الخبيثة ، التي يسمعونها من هنا وهناك من أدعياء المستشرقين الذين يكيدون لديننا ، ولتراثنا ..

وقد وقانا الله شر هذا « البوم » الناعب في ديارنا ، مبشرا بنقص حكم من أحكام شريعتنا ، بما كانوا يدعون اليه من الغاء حكم الاعدام ، الذي يصم مجتمعنا — في أوهامهم — بالبربرية والوحشية ..

فبأي لسان يتحدث هؤلاء الببغاوات عن الغاء حكم الاعدام ، وقد خرست ألسنة أساتذتهم ، فلم تعد تنطق بهذا القول ؟ فليبحثوا لهم اذن عن مقولة أخرى يتعالمون بها ، وليدخلوا بها في زيّ المجددين التقدّميين ، وذلك بعد أن تزايلهم حمرة الخجل ، ويجفّ من جباههم عرقه ، ان كانت وجوههم تعرف الحياء والخجل .. وصدق رسول الله اذ يقول : « **اذا لم تستح فاصنع ما شئت** » ..

وان في هذا لعبرة لمن يتلقون مثل هذا الزور من القول ، ويتأثرون به ، ويهتز إيمانهم منه ، وليعلموا أن دينهم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن شريعتهم هي شريعة الله التي لا يفيض على الايام معينها ، ولا تتعطل على الزمن مواردها .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم ، وفي رسوله الأمين : « **وبالحق انزلناه ، وبالحق نزل ، وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا** » .



للدكتور محمد شوقى الفنجرى

من يرجع الى كتب الفقه الاسلامى ، يجد اختلافا بعيد المدى فى كيفية تطبيق فريضة الزكاة ، عبر عنه فقيد الاسلام وشيخ الازهر الاسبق الامام محمود شلتوت بقوله : (على رغم ما أعتقد من أن الخلاف النظرى يدل على حيوية فكرية قوية وعلى سماحة النظام الذى يكون فى ظله ذلك الخلاف ـ على الرغم من ذلك ، فكم يضيق صدرى حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة فى تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذى نراه فى كتب الفقه والاحكام) . ثم يقول : (هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها أو شأنها عندهم جميعا كشأنهم فى الصلاة ، وشأن الصلاة فيها تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف « خمس صلوات فى اليوم والليلة ») . ثم يقول (لست أشك فى أن وحدة المسلمين فى واجباتهم الدينية والاجتماعية التى أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، تقضي على علمائهم وأولياء الأمر منهم بالمسارعة الى أعادة النظر فيما أثر عن الأئمة من موضوعات الخلاف التى أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة ، ويكون

ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى تقصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء) (١) .

ورغم المحاولات الحديثة التى بذلت وما زالت تبذل ، فاننا حتى الآن لم نستطع ان نذلل مهمة ولى الأمر ، تنفيذ احكام هذه الفريضة التى ارادها الله ان تكون ركنا اساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الإسلام على احكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافا بعيد المدى ، ثم اعلان الأحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ولسنا هنا بصدد دراسة ولو اجمالية لموضوعات الزكاة ، فان ذلك يتجاوز نطاق هذا المقال . وإنما كل ما يهمنا هو محاولة ربط احكام الزكاة بواقع عالمنا الحاضر . ونكتفى هنا بعرض ثلاث مسائل رئيسية ، نعالج كل منها فى فرع مستقل .

الفرع الأول : الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الإسلام .

الفرع الثانى : وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها .

الفرع الثالث : هل يجوز أداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم .

١ ــ الزكــاة مؤسسة الضمان :

لم يكتف الإسلام بمجرد الدعوة الى الضمان الاجتماعى بمعنى ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، وانما انشأ له منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة مستقلة هى مؤسسة الزكاة التى هى بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعى .

أ) حداثة نظام الضمان الاجتماعى فى العالم وقدمه فى الإسلام :

من المعروف ان نظام الضمان الاجتماعى ، حديث فى عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات وثمرة المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعية والتقدم الاقتصادى . بخلاف الأمر فى الاسلام ، فقد قرره منذ أربعة عشر قرنا كضرورة حتمية للقضاء على البؤس والفقر وتحرير الانسان باسم الدين من عبودية الحاجة .

ولعل أهم دور أسند الى مؤسسة الزكاة فى العهد الاسلامى الأول هو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ، ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح (حد الغنى) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما أعطي الفقير ما يمكن أن نسميه براس مال ليبدأ تجارة ينميها أو يشتري آلات لصناعة يعرفها .
كذلك لعبت مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول دورها في تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد العطاء كلما نما الولد .

ب) الضمان الاجتماعي هو الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة :

اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ، أي حق الضمان الاجتماعي وكفالة حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن ، بمثابة الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة . فالقرآن يقول : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ــ البقرة / ٨٣) ، ويقول : (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ــ البينة/ ٤) ، ويقول : (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ــ الحج / ٤٠ ــ ٤١) ، ويقول : (**وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** ــ فصلت / ٦ ــ ٧) . كما ورد في السنة الصحيحة ، ان الصلاة غير مقبولة ممن لا يحرص على ايتاء الزكاة .

وتعتبر حرب أبي بكر لمانعي الزكاة ، أول حرب في التاريخ تخوضها دولة في مبدأ الضمان الاجتماعي ، فقد حدث عقب وفاة رسول الله أن امتنع فريق من العرب عن اداء الزكاة ، فقرر أبو بكر الصديق قتالهم وقال كلمته المشهورة (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعه) . وانه حين اعترض عمر بن الخطاب على قتال الممتنعين عن اداء الزكاة قائلا كيف نقاتلهم وهم مسلمون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ، يجيبه أبو بكر في عزم وتصميم (والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) ، فيقتنع عمر بن الخطاب ويقول : (فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت انه الحق) .

ج) الزكاة فريضة مستقلة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعي :

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم ، وانما هي فريضة الزامية يستوفيها الحاكم الاسلامي الى جانب الضرائب التي كانت تحصلها الدولة الاسلامية في عهدها الاول لمواجهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة العشور ، وهي ضريبة جمركية . اذ الأمر كما ورد في الحديث النبوي (أن في المال حقا سوى الزكاة) . وكان يفرد للزكاة بيت مال مستقل خلاف موارد بيت المال الأخرى ، بحيث لا يجوز مثلا الإنفاق من حصيلتها على الجهاز الاداري للدولة .

وهى فريضة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعى ، بحيث لا يجوز استعمال حصيلتها أو توزيعها الا فى أهداف الضمان الاجتماعى ، والتى عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله** ــ التوبة / ٦٠) .

ومن ذلك يتبين ان المستحقين فى الزكاة ثمانى فئات هم :

ــ **الفقراء** : وهم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفروا لأنفسهم الحد اللائق للمعيشة ، وهو حد الكفاية لا الكفاف .

ــ **المساكين** : وهم فى راى البعض الفقراء الذين يسألون تمييزا لهم عن الفقراء المتعففين ، وهم على العموم اسوأ حالا من الفقراء .

وقد جرت أقوال الائمة على اعطاء الفقراء والمساكين من الزكاة بحالتها التى تجبى عليها أى نقدا ، فى حين أن الشريعة الغراء لم تنص على وسيلة معينة يلتزم بها الامام فى اداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وانما خوله التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بحيث اذا وجد فقير مريض جاز أن يؤدى له الزكاة فى صورة خدمة طبية بدلا من اعطائه مبلغا من المال قد يكون عديم النفع أو ضارا فى بعض الأحوال .

ونرى فى العصر الحالى ان من افضل صور اداء حق الزكاة ، اقامة المستشفيات للفقراء والملاجىء للعجزة واليتامى . وقد نص ابن عابدين على ان ما ينفق فى سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو انفاق عليهم واعطاء لهم . وقد يكون من أجدى السبل ، استخدام جزء من حصيلة الزكاة فى انشاء مطاعم أو مساكن شعبية بل وفى انشاء مصانع يعمل بها الفقراء المشوهون كل بحسب مقدرته فيجدون موردا كريما لرزقهم فضلا عن زيادة العمالة والقضاء على البطالة المفروضة عليهم (٢) .

ــ **العاملون عليها** : وهم المكلفون بتحصيل الزكاة ، ولا يجوز فى راى البعض كالامام الشافعى أن يتجاوز بحال من يتقاضونه ١/٨ المحصل من الزكاة وهذا يعنى ان الزكاة تغطى مصاريفها من ذاتها ، وانه يتعين الاقتصاد فى مصاريف تحصيلها وصرفها .

ــ **المؤلفة قلوبهم** : وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، **فهذا نصيب الدعوة للاسلام** . وقد قيل ان عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض عطاءهم بقوله (ان الله قد أعز الاسلام واغنى عنهم) وهذا تصور خاطىء ، اذ لا يملك عمر أو غيره ان يهدر أو يعطل نصا ، وانما الأمر مرده عدم توافر شروط تطبيق النص أو كما يعبرعنه البعض باصطلاح زوال الوصف .

ــ **الرقاب** : وهو القدر المخصص لتحرير العبيد فى العصر القديم ولمحاربة جميع صور الاستغلال فى العصر الحديث وبذلك تعتبر الدولة الاسلامية **أول دولة فى العالم حاربت الرق منذ اربعة عشر قرنا بل وخصصت لذلك جزءا من ميزانية الدولة** .

ــ **الغارمــون** : وهم الذين استغرقتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية او لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة كاصــلاح ذات البين أو كســاد تجارتهم أو مصانعهم لسبب خارج عن أرادتهم . فيعطون من الزكاة بقدر ما يقضى ديونهم ويرد اليهم معنويتهم فى الحياة .

ــ **فى سبيل الله** : وهو ما يتعلق بالحرب المقدسة وسائر المنافع العامة **فلهذا الوجه حق فى الزكاة متى كان بها وفر ، الى جانب حقه الأصلى فى خزانة الدولة . ولذات السبب كان للمستحقين للزكاة حق فى موارد الدولة الأخرى ، متى لم تكفهم حصيلة الزكاة .**

ــ **ابن السبيل** : وهو قديما المسافر الذى انقطع عن بلده وبعد عن ماله ، **وهو حديثا السائح أو اللاجىء الذى انقطع عنه مورده بسبب خارج عن ارادته .**

ومن المسلم به أن للمشرع الاســلامى حرية توزيع حصيلــة الزكاة على كل او بعض هذه الفئات حسبما يراه متفقا والصالح العام . فاذا اعطيت الزكاة لفئة واحدة بقدر ما تندفع به حاجتها اجزأت ، باعتبار ان الحاكم مخير فى التفريق فى الأصناف الثمانية وفى ان يخص بعضهم دون بعض ، وانما ليس له حريــة التوزيع على غير هذه الفئات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (انى والله لا أعطى احدا ولا امنع احدا ، وانما أنا قاسم اضع حيث أمرت) . ويقول عليه السلام (لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب) ، ويقول (من سأل من غير فقر فانما اكل الجمر) . ويجمع الفقهاء ان من كان قويا على الكسب مع قوة البدن وحسن التصرف تكون الزكاة عليه حراما لأنه غنى بقدرته على الكســب فصار كالغنى بماله .

كما ان من المسلم بان الزكاة تؤخذ من المكلفين فى كل قرية او مدينــة وتنفق على المستحقين من أهل هذه القرية أو المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى للزكاة لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتــى تحتاج الى معونة . ذلك لان اهل كل بلد أولى بزكواتهم حتى يستغنوا عنها ، فلا تحمل من أهل البلد الى غيره الا ان تكون فضلا عن حاجتهم وبعد استغنائهم عنها. **ومؤدى ذلك ان فريضة الزكاة هى ضريبة محلية ، بحيث يستقل كل فرع لمؤسسة الزكاة فى** تحصيل وصرف الزكاة فى نطاقه المحلى ، وما يزيد أو ينقص عــن حاجته يستوفيه من الفروع المجاورة بتنظيم من المركز الرئيسى .

٢ ــ وعــاء الزكــاة ، ونصابها ، وسعرها :

ا) وعــاء الزكــاة :

ان الأموال التى ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هى اربعة :

ــ الابل والبقر والغنم .
ــ الزروع والثمــار .
ــ النقــود .
ــ عروض التجــارة .

وقد اختلفت اليوم صنوف المال عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا ، وظهرت صنوف جديدة من المال وزادت أهميتها ، ومن قبيل ذلك الدور والاماكن المستغلة والآلات الصناعية ، والأوراق المالية ، وكسب العمل والمهن الحرة .

وانه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الأموال هى نماؤها بالفعل أو بالقوة كما يقول الفقهاء . فان كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة أو تقديرا تجب عليه الزكاة ، أيا كان ثروة عقارية كالعمارات أو صناعية كالمصانع أو نقدية كالاوراق المالية . وعن الرسول عليه السلام (اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة) وقوله (ما نقص مال من صدقه) ، وذلك لتعلقها بالاموال ذات النماء تحقيقا أى بالفعل أو تقديرا أى بالتمكن من النماء .

واذا كان الفقهاء القدامى لم يفرضوا الزكاة على بعض الاموال كدور السكن وأدوات الصناعة الأولية ، شأن الابل والبقر العوامل وحلى الزينة ، باعتبارها من الحاجات الشخصية المعدة للاستعمال ، فانها تظل كذلك معفاة باعتبارها أموالا غير نامية لا بذاتها ولا بالقوة . أما اذا تحولت دور السكن الى الاستغلال لا الاستعمال الشخصى ، ولم تعد اليوم ادوات الصناعة يملكها صانع يعمل بيده أى لاستعماله الشخصى انما هى للاستغلال ، فانه تلحقها حينئذ فريضة الزكاة .

ب) نصاب الزكاة :

والقاعدة ان الزكاة لا تكون الا عن ظهر غنى ، فالمشغول بالحاجة الأصلية كالمعدوم ، بحيث يعفى الحد الأدنى من الثروات أو الدخول اللازم للنفقات الضرورية لمعيشة الفرد وهو ما يعرف فى الفقه الاسلامى بحد الكفاية ، وهو نصاب الزكاة الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار . وعليه فان كل من لم يبلغ النصاب لا يؤدى الزكاة ، بل هو يستحقها . وقد ذهب عمر بن الخطاب عام الرمادة الى اباحة الزكاة لمن هو مالك لمائة شاة لا اربعين شاة كالاصل ، وذلك لان هذه المائة وقد أصابها الجرب والعجف لظروف عام المجاعة لا تغنى عن أربعين شاة فى الخصب . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله : و (انه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، ومن ان يكون له الأثاث ، فاقضوا عنه فانه غارم) .

وقد ورد فى السنة أن نصاب الزكاة أى حد الاعفاء هو ما دون العشرين دينارا أو المائتى درهم ، ويقدر ذلك البعض بالعملة المصرية الحالية بمائة جنيه فى الحول (٣) . ومؤدى ذلك ان من كان دخله السنوى فى مصر دون ذلك فانه يعفى من الزكاة ، بل هو ممن يستحقها .

جـ) سعر الزكاة :

وسعر الزكاة بصفة عامة ، دون خوض فى التفاصيل ، هو بواقع ٢ر٥٪ من رؤوس الاموال المنقولة (٤) والأنعام والنقود وعروض التجارة ، وما بين ٥٪ و ١٠٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لقول الرسول عليه السلام (ما سقته السماء ففيه العشر ، وما سقى بقرب ففيه نصف العشر) .

الا انه من المتفق عليه ، ان ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض فى الأموال ، لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته، اما اذا عجزت مؤسسة الزكاة فى حدود النصاب المقرر لها شرعا ان تقوم بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعى ، فان للشارع أن يقدر حاجة المؤسسة

ويحصل لها من اموال المسلمين ما يتجاوز هذا النصاب ، وبالقدر الـذى يمكنها من اداء رسالتها بكفالة كل محتاج عاجز . وذلك إعمالا لقوله تعالى (فى اموالهـم حق معلوم للسائل والمحروم ــ المعارج / ٢٤ و ٢٥) ، وقول الرسول (تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم) . وهو ما عبر عنـه سيدنا على بن أبـى طالب (ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم) ، وعبر عنـه الامام بن حزم بقوله (وفرض على الأغنياء من كل بلد ان يقومـوا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم) ، وعبر عنه الامام الشافعى بقوله : (ان للفقراء احقية استحقاق فى المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير) .

٣ ــ اداء أهل الذمة للزكاة :

واذا كانت مؤسسة الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام ، يستفيد منها المسلمون وغير المسلمين على السواء ، فاننا نرى اليوم ، ازاء تغير الظروف جواز اداء اهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم ، وذلك كنظام ضريبى موحـد .

ونبين ذلـك فيما يلى :

(أ) طبيعـة الزكـاة :

الزكاة هى ضريبة دينية مخصصة ، يلتزم كل مسلم بادائها كركن من أركان الاسلام لا يكمل اسلامه الا بها ، وتلتزم كل دولة اسلامية باستيفائها وصرفها على اوجهها المخصصة .

ــ **فهى ضريبة** بمعنى الجبر والالزام ، والتعلق بالمال لا الشخص وهو ما عبر عنه الفقهاء القدامى بانها حق مالى ، ونعبر عنه بلغة اليوم بانها ضريبـة ومن ثم فانه يخضع لها الفرد فى ماله بصرف النظر عن تحقق شرط التكليف الدينى فيه أو عدمه ، وهو شرط العقل والبلوغ . كما أنها بهذا الوصف لا تسقط بموت المالك ، ولا بهلاك المال من صاحبه بعد استحقاقها .

ــ **ودينيـة** وذلك لانها ركن من اركان الاسلام ، لا يكمل ايمان المسلم الا بادائها ، ذلك ان فاعل الزكاة ومؤديها يريد بها وجه الله تعالى وثوابه واطاعة أمره وعبادته . ولهذا سميت الزكاة « بالصدقة » تطيب بها نفس المسلم ويثاب عليها . فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة اختيارية زكاة . فيقول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ــ التوبة / ١٠٣) ، ويقول سبحانه (**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ــ الـروم / ٣٩) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم) ، ويقول عليه السلام : (اذا اعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ان تقولوا اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما) ، ويستحب لمعطى الزكاة ان يحمد الله على نعمتـه وفضله عليه بتمكنه من أدائها .

والرأى منعقد بان من ينكر الزكاة يخرج عن الاسلام ويعتبر كافرا ، ومـن يمتنع عن ادائها تؤخذ منه كرها ، ولا يثاب عليها . وفى الحديث الشريف (والذى نفسى بيده ، لا يموت احد منكم فيدع ابلا أو غنما أو بقرا لم يؤد زكاتهـا الا جاءت

يوم القيامة اعظم مما كانت واسمن تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتي يقضى بين الناس) ، وقوله عليه السلام (ان الصدقة لتمنع ميتة السوء ، وانها لتقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل) .

— وهي مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعى ، اذ لا يجوز صرف حصيلتها الا على الفئات الثمانية السالف ذكرها ، والتى يجمعها صفة الحاجة ، وانه يتعين على الدولة ان تفرد لها ميزانية مستقلة ، ولا يجوز الصرف من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة او الإنفاق العام الحكومى .

وتخلص من ذلك الى أمرين اساسيين : —

اولهما : ان الزكاة من ناحية المسلم ، هى فريضة تعبدية ، تحقق له عائدا مجزيا فى دنياه وآخرته .

ثانيهما : ان الزكاة من ناحية الدولة ، هى ضريبة مخصصة ، فهي من أهم موارد بيت المال «خزانة الدولة»، ولكنه ايراد مخصص لأهداف الضمان الاجتماعى

(ب) طبيعة الجزية :

وقد فرض الاسلام الجزية على أموال الذميين فى مقابل الزكاة المفروضة على اموال المسلمين ، باعتبار ان لهم مالنا وعليهم ما علينا . فلا يخاطب أهل الذمة بالزكاة بصفتها التعبدية وعدم اسلامهم ، وانما يخاطبون بالجزية . واذا كان يلاحظ مضاعفة الجزية عن الزكاة ، فذلك لأن اهل الذمة معفون من واجب الدفاع والقتال عن المسلمين . ولذلك تخفض الجزية عمن يريد من الذميين مشاركة المسلمين فى القيام بواجب القتال ، كما كانت تسقط الجزية اذا عجز المسلمون عن الدفاع عن الذميين وحمايتهم (٥) .

فليست الجزية كما تصورها البعض خطأ ، ضريبة على الأشخاص ، أو هى جزاء أو عقوبة على غير المسلمين لحملهم على الاسلام . وانما هى ضريبة على الأموال ولا تفرض على كل الذميين وانما على الموسرين منهم ، كما يعفى منها الصبيان والنساء باعتبار اعفائهم من واجب الدفاع والقتال .

فاذا كانت الجزية على هذا النحو ضريبة مالية على الذميين فى مقابلة التزام المسلمين بالزكاة ، وسبب مضاعفتها هو اعفاء الذميين من واجب الدفاع والقتال . وانه لما كان الوضع اليوم قد تغير وصار الذميون فى الدول الاسلامية يخدمون كالمسلمين بالقوات المسلحة ، فانه يتعين بالتالى خفض سعر هذه الضريبة لتكون بذات سعر الزكاة . **ومؤدى ذلك امكان تطبيق الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم ، وان ظل المسلم دون الذمي مخاطبا بالزكاة كالتزام تعبدى لا كالتزام مالى فحسب . ولنا فى ذلك سابقة لعمر بن الخطاب على نحو ما سنبينه .**

(هـ) اجتهاد عمر بن الخطاب فى الجزية ودلالته :

حدث فى عهد عمر بن الخطاب ان اشتكى نصارى بنى تغلب من الجزية قائلين : نحن عرب لا نؤدى ما تؤدى العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض ، قاصدين بذلك الزكاة . فرفض عمر بن الخطاب قائلا : الزكاة فرض

المسلمين ، فقالوا له : زد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية . فاسقط عنهم عمر الجزية واستوفاها باسم الصدقة (الزكاة) ، وان ضاعفها عليهم قائلا : سموها ما شئتم (٦) ..

واذا كانت الزكاة على نحو ما رأينا، هى ضريبة تؤدى على أموال المسلمين الخاضعين لها بغض النظر عن المالك لها . وكانت الزكاة هى الضريبة على أموال الذميين لا أشخاصهم ، وذلك فى مقابلة الزكاة ، وان سبب مضاعفتها هو اعفاؤهم من واجب الدفاع والقتال .

فانه لا شك، ازاء التزام الذميين اليوم شأن المسلمين بالدفاع عن البلاد والقتال فى سبيلها ، فانهم يلتزمون بذات سعر الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم (٧) ، ويبقى للمسلم جانبها التعبدى والثواب عليها بقدر حرصه على ادائها بطيب نفس ابتغاء وجه الله ومرضاته .

---

(١) انظر فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام عقيدة وشريعة . طبعة دار القلم القاهرة ، ص ١٠٩/١١٠ .

(٢) أنظر فى هذا المعنى ايضا الدكتور ابراهيم نزار أحمد على ، الموارد المالية فى الاسلام الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٨ .

- وكذا توصيات حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة بدمشق سنة ١٩٥٢
- وكذا قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة فى مايو سنة ١٩٦٥ .

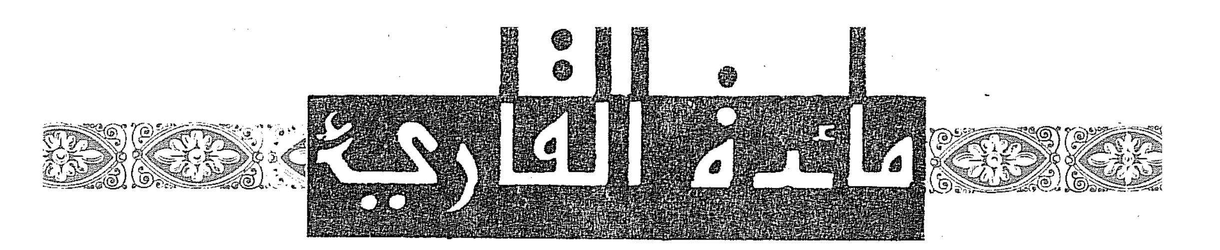
(٣) انظر الدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧٠ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٩ .

(٤) وعليه فرؤوس الاموال الثابتة كالارض والمبانى والآلات الصناعية ، لا تجب فيه الزكاة وانما تجب على الدخل الناشىء عنه .

(٥) يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أن المسلمين حين دخلوا حمص أخذوا الجزية من أهل الكتاب الذين لم يريدوا دخول الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم أعدوا جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين وانهم لا يقدرون على الدفاع عن أهل حمص وقد يضطرون الى الانسحاب ، فاعادوا الى أهل حمص ما أخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم ، فانتم على أمركم ، فقال أهل حمص : أن ولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه منالظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل من المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك وسقطت عنهم الجزية .

(٦) انظر الاموال ، لأبى عبيد ، والدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، المرجع السابق ص ٦١ .

(٧) انظر هذا المعنى ايضا فضيلة الاستاذ محمد أبو زهرة فى مشروع قانون الزكاة الذى قدمه مجلس النواب المصرى سنة ١٩٤٧ .

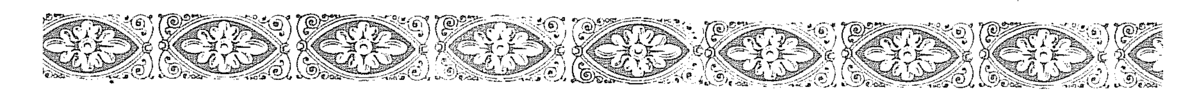


الإيمــان ..

سال رجل الحسن البصري أمؤمن انت ؟ فقال : ان كنت تريد قول الله تعالى : (آمنا بالله وما انزل الينا) فنعــم ، به نتناكــح ، ونتوارث ونحقن الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : ((انمــا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم)) فنسال الله أن نكون منهم .

٢٢٠ سنــة

قدم احد المعمرين على معاوية ، فقال له : كم أتى عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن اين علمت ؟ قال : من كتاب الله . قال : ومن اى كتاب الله ؟ قال : من قول الله تبارك وتعالى : ((وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب))قال : حدثني عــن الذهب والفضة قال : حجران ان اخرجتهما نفدا ، وان خزنتهما لــم يزدا ، قال فاخبرني عن قيامك وقعــودك وأكلك وشربك ونومــك وشهوتك للباءة . قال : اما قيامى فان قمت فالسماء تبعد وان قعدت فالأرض تقرب ، واما أكلى وشربى ، فان جعت كلِبْتُ ، وان شبعت بَهِرتُ واما نومى فان حضرت مجلسا حالفنى ، وان خلوت فارقنى ، وأما الباءة فان بذلتُ عجزت ، وان منعتُ غضبتُ .



فتوى اللجام

ابتاع رجل من آخر فرسا ، فأراد البائع أخذ لجام الفرس . فأبى المشترى .. فترافعا الى عالم ، فعرضا عليه فقال لهما : اصبرا حتى اطالع .. فأخرج نسخة من البردة ، وتصفح أوراقها والتفت الى المشترى وقال له : اثبت أن الفرس جموح وخذ اللجام ، فلح البائع فى الخصام فانتهره وقال له يقول الامام البصيرى : « كما ترد جماح الخيل باللجم » فبأى شىء يرد هذا المشترى الفرس ان جمح ..

المال

قال بعض الفرس : من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

وقال يونس : لو أن الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من أخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد .

وقيل لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجمع أصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم فى تضليل الناس ، فالأب يقتل ابنه والابن يقتل اباه بسببه .

الزوج الوفى

روى ان رجلا اراد أن يطلق امرأته ، فقيل له ما الذى يريبك منها ؟

قال : العاقل لا يهتك سرا . فلما طلقها . قيل له : لم طلقتها ؟ فقال : مالى ولا مرأة غيرى .

كيف رأيت الدهر

سئل احد المعمرين : كيف رأيت الدهر ؟ قال :

سنيهات بلاء ، وسنيهات رخاء ، ويوم شبيه بيوم ، وليلة شبيهة بليلة .. يهلك والد ، ويخلف مولود ، فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ، ولولا المولود لم يبق أحد .

لا تقل ...

مدح أبو مقاتل الضرير الحسن بن زيد بقصيدة مطلعها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان
غرة الداعى ويوم المهرجان

فكره الحسن ابتداءه بلا تقل بشرى فقال لو قلت :

غرة الداعى ويوم المهرجان
لا تقل بشرى ولكن بشريان

لكن احسن لان الابتداء بلا قبيح ، فقال له أبو مقاتل : لا كلمة أشرف من التوحيد ، وابتداؤه بلا .



للدكتور عماد الدين خليل

(١)

قدم القرآن الكريم ملامح (منهج) أصيل فى التعامل مع التاريخ البشرى ، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب ، الى محـــاولة اســتخلاص القوانين التى تحــكم الظواهر الاجتماعية ــ التاريخية ، كما فعل ابن خلدون .. وهذا يتمثل بالتاكيد المستمر في القرآن على قصص الانبيـــاء والأمم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس) يخضع لها التاريخ في ســيره وتطوره وانتقاله .. ولقد وقع كثير من المؤرخين وفلاســفة التاريخ المعاصرين فى خطا القول بأن (ابن خلدون) هو أول من مارس هذا المنهج وأنه لا توجد قبله اية محاولة فى هذا السبيل ، كما وقع ابن خلدون نفسه فى هذا الخطأ عندما أكد فى (مقدمته) انه لم يعثر على أية محاولة فى هذا المجال ..

ان المنهج الجديد الذى يطرحه القرآن يؤكد ــ اكثر من مرة ــ على أن (التاريخ) لا يكتسب أهميته الايجابية الا بأن يتخذ كوعاء تستخلص منه القيم والقوانين التى لا يستقيم التخطيط للحاضر والمســتقبل الا على هداها ، وهو

(منهج) بأمس الحاجة الى إجراء مقارنة شاملة بينه وبين منهج القرآن (الفنيّ) وتبيان الأسباب التي صدّت المسلمين في القرون الاولى عن التأثر بهذين المنهجين والتزام تعاليمهما التي لو أخذوا بها ونفذوها في حقول الفن والتاريخ لسبقوا سبقا كبيرا ولقدموا معطيات عظيمة في كلا الحقلين .. !

(٢)

في القرآن الكريم يغدو (التاريخ) وحدة زمنية .. تتهاوى الجدران التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتعانق هذه الآونات الثلاث عناقا مصيريا .. حتى الأرض والسماء .. زمن الأرض وزمن السماء .. قصة الخليقة ويوم الحساب .. تلتقي دائما عند النقطة الحاضرة في عرض القرآن .. فهذا الانتقال السريع بين الماضي والمستقبل ، بين الحاضر والماضي ، وبين المستقبل والحاضر ، يوضح حرص القرآن على إزالة الحدود التي تفصل بين الزمن ، فتغدو حركة التاريخ التي يتسع لها الكون ، حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله السموات والأرض وتتجه نحو يوم الحساب .

ان الحياة الدنيا فصل تاريخي يتشكل من الماضي والحاضر ويرتبط بمستقبل يوم الحساب ولهذا يقدم لنا القرآن الكريم وصفا رائعا لهذا التوافق بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وينقلنا بخفة وابداع بين الآونات الثلاث حيث تذوب الفواصل والحواجز وتسقط الجدران .. !!

(٣)

يبدو أن هنالك (حتمية) لا محيص عنها في سقوط الدول والحضارات .. وحتى تجربة الاسلام كدولة وحضارة اطاحت بها هذه الحتمية .. والقرآن بواقعيته واحاطته المعجزة يقرر هذه الحقيقة ولا يستثني منها الاسلام والمسلمين « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد قال « بين الناس » بمعنى عموم هذه (السنّة) التي لا محيص عنها والتي تقوم ولا ريب على أسبابها ومقدماتها في صميم العقل الانساني نفسه .. وهذا لا يدفع الى اليأس — بل على العكس — انه يدفع المؤمنين الايجابيين الى محاولة تقديم مزيد من التجارب .. !!

ان الحياة الدنيا أشبه بالناعور .. والشجاع الشجاع هو الذي يحصل على (صعدة) أكثر في تاريخ هذه الحياة الدائرة ، كي يرى البشرية صورا من حقائق التطبيق الصحيح للمبادىء السماوية .. ويمكن تشبيه هذه الوضعية (الدينامية) برجل كتب عليه أن يحيا في مدينة ما ، وأتيح له أن يغادرها الى اي مكان مرتحلا طالما أسعفته إمكاناته وإرادته .. إلا أن مصيره دائما هو أن يعود الى مدينته الاولى .. والانسان ، كلما كان ذا إرادة أقوى ، وعزيمة أمضى ، وجهد وابداع أشد تركيزا ، كلما أتيح له السفر الى منطقة أبعد واكتشاف مزيد من المجاهيل ..

إن كلا منا هو هذا الرجل ، وبمجموعنا كجماعة ننتمي الى هذا المبدأ أو ذاك ، نستطيع أن نرحل ، ونعلّم البشرية أن ترحل معنا الى تلك الآفاق البعيدة الرائعة .. فإذا ما حتم علينا أن نعود ، فلا بدّ أن نبذل محاولات ثانية وثالثة من أجل اعادة الكرّة والاستعداد لرحلة أكثر غنى وسعادة وتجوالا .. وهذا

لا يعني ان المنجزات الحضارية تصاب دوما بنكسات (دورية) ، على العكس ، إنها تبقى صاعدة على سلّم لا ترجع عنه الى أسفل .. هذا فيما يتعلق بالابداع المادي للحضارة اى ما يصطلح عليه باسم (المدنية) .. أما القيم والمبادىء فهى التي تتعرض للانتكاسات ، وهي لا تستقيم إلا بانتصار المبدأ الأقوى والأكثر انسجاما ، مع بنية الانسان .. ولن يتأتى هذا إلا بأن يتولى زمام القيادة ، ويكون فى القمة رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا !!

(٤)

يعطى القرآن الكريم صورة مليئة بالحيوية والتدفق لمجرى التاريخ البشرى ، ويحاول — بآيات بينات — أن يهدم السدود التى تفصل زمنا عن زمن أو مكانا عن مكان .. فتاريخ البشرية وحدة متصلة بزمانها ومكانها .. تحكمها قوانين عليّة (غيبيّة) يعبر عنها القرآن بكلمة (سنن) وهى قوانين لا يفلت من حكمها أحد ، ولكنها لا تفعل فعلها فى كثير من الأحيان مباشرة ، وانما بوسائط تعطيها الحرية في الاختيار ، إلا انها فى مداها البعيد تعمل ضمن القانون الغيبى الالهى الدقيق .. فالقرية الظالمة التي عتت عن امر ربها وانحرفت عن الطريق ، يسخر المترفون لعقابها ، فيفسقون فيها ، فيحق عليها القول دمارا يمحوها من صفحة الوجود .. وأحيانا أخرى تسهم القوى العليا فى صنع التاريخ مباشرة ، ودونما سبب أو واسطة .. وليست حشود الملائكة الكرام الذين قاتلوا الى جانب المسلمين في معركة (بدر) الفاصلة ، سوى مثل من الأمثال ..

(٥)

يضع القرآن الكريم اسسا مرنة لحركة التاريخ البشرى وتشكيل المصير .. فهو يرسم الخطوط الأساسية للنظام الذى يلزم به افراد المجتمع الاسلامى كى يغدو كل واحد منهم قادرا بشكل او آخر ، على الاسهام فى حركة التاريخ .. ولكنه — من جهة أخرى — يفتح الطريق أمام المتفوقين ، للوصول بجهدهم الدائب وعطائهم المبدع ، الى القمم التي لا يستطيع بلوغها إلا القلة الفذة .. هؤلاء هم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته .. فالمجتمع المسلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، كان يمثل (تشكيلة) من الأفراد الذين التزموا بالنظام وأحسنوا الالتزام ، فصنعوا تاريخا مشهورا في عقدين من السنين .. ومن بين هؤلاء كان يبرز أمثال أبى بكر وعمر وعلى وابن الوليد ليوجهوا التاريخ وفقا لمبادىء الاسلام ..

(٦)

الرؤية القرآنية تدعو الى ان تنبثق (حركة التاريخ البشرى) عن الحق ، تربط الأرض بالسماء ، تحتم نشوء حضارة مبدعة متطورة .. تربط الأجيال بالأجيال ، والماضى بالحاضر والمستقبل ، والانسان الفرد بالبشرية .. تنفخ روح العمل والتنافس فى شرايين الانسان ، تدفعه الى استغلال الزمن والتراب ليصنع منهما تاريخه ، تشحذ إرادة الابداع والعطاء ..

الحساب والميزان والجنة والنار هى المقاييس النهائية لفاعلية الانسان التاريخية ، والفاعلية التى تصنع التاريخ لا تعدو أن تكون احدى اثنتين : بنّاءة وهدّامة .. التاريخ عمليتا هدم وبناء .. هدم للانسان وبناء له .. هدم للحضارة وبناء لها .. ومن ثم فإن التقييم النهائى لدور الانسان فى التاريخ يأتى هناك .. وهو ليس تقييما أخلاقيا فحسب ، ولا ذاتيا فحسب ، بل هو تقييم موضوعى يحاسب الانسان على ما قدمت يداه ، وما تقدم يدا الانسان حصيلته التاريخ ، فهما اللتان تمجنان التراب بالزمن ، بالفكر ، بالروح ، بالارادة فيتشكل التاريخ ،
والحساب والميزان ، بما انهما جزء أساسى من الحق الذى يقوم عليه بناء الكون ، يحتمان على الانسان ابتداء أن يكون إيجابيا ، أن تكون حياته معطاءة دوما .. أن يملأ دوره المتاح له فى التاريخ ، لأنه سيحاسب على ذلك كله ، وفق أدق الموازين حكمة وعدلا ..

(٧)

ينبثق التفسير (المسيحى) للتاريخ عن فكرة (الخطيئة والخلاص) وتحويلها من نطاقها الفردى الى النطاق الجماعى . وإذن فإن التاريخ — فى هذا التفسير — تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعا ، فى حركة صاعدة ، الى مثلها الأعلى ، مهما اقترفت من ذنوب وارتكبت من معاصى وآثام ، فما دام المسيح عليه السلام قد (خلّصها) بصلبه فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت الى مصيرها دون مقاومة أو عناء ..
فى التفسير الاسلامى تمتد نظريته الاخلاقية فى المسؤولية الفردية فتشمل النطاق الجماعى ، ولا يتحدد مصير أية جماعة الا نتيجة لما تقدمه من أعمال ، وهذا يعنى أن التاريخ لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم حركة صاعدة ومصيرا مكتوبا بأحرف من نور .. وانما تتعرض هذه الأمم فى سيرها للصعود والهبوط ، للنجاح والفشل ، للارتفاع والانهيار ، اعتمادا على ممارساتها ومعطياتها .. ومن ثم تبرز المسؤولية كعامل أساسى فى توجيه التاريخ .
ان النذر التى يقدمها الله سبحانه تبدو فى التفسير المسيحى مسلطة على أولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص ، أما فى التفسير الاسلامى فتنصب على كل انسان وكل جماعة تتنكب عن المعنى على الصراط المستقيم ، ومن ثم فإن النقمة قد تكتسح المسلمين انفسهم بمجرد خروجهم عن هذا الصراط !

(٨)

شن فلاسفة التاريخ الغربيين حملة قاسية على (ارنولد توينبى) فى كتابه الشهير (دراسة التاريخ) ووصفوه بأنه مفكر لاهوتى مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية . والحقيقة أن خطوة (توينبى) تعتبر فتحا جديدا فى مجال التفسير التاريخى ، كما كان كتاب إشبنغلر (سقوط الحضارة الغربية) قد شكل جزءا كبيرا من هذا الفتح . ولكن خطوة توينبى هذه ، ومن قبله اشبنغلر ، فيها نوع من التأرجح وعدم الاتزان ، أو بالأحرى نوع من الانفصالية (العلمانية) بين القيم العقلية والروحية . ومن هنا استطاع الماديون والطبيعيون والعقليون أن يجدوا ثغرات واسعة للطعن ضد توينبى .
ان تفسير التاريخ البشرى يجب أن ينبثق عن موقف موضوعى شامل يربط ويوازن بين سائر القيم التى تصنع التاريخ مادية وروحية ، طبيعية وغيبية

ولن يتحقق هذا ــ بطبيعة الحال ــ الا فى نطاق (الموقف الاسلامى) حيث لا يستطيع مفكر أو ناقد أن يجد أى مجال للطعن ضد القيم الروحية ، إذ هى ــ هنا ــ ليست منفصلة عن (المادية) و (العقلية) وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى فى تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية .. ذلك أن القيم الروحية ــ فى الاسلام ــ ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية بالمعنى اللاهوتى بل هى قيم ذات جذور عميقة وارتباط عميق بواقع الحياة البشرية والوجود الجماعى على السواء ..

(٩)

يتصف الخالق سبحانه بالرؤية المثلثة لأبعاد الزمن الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، بما أنه سبحانه « وسع كل شىء علما » . ولذا فالتفسير الذى يقدمه القرآن الكريم للتاريخ ، بما أنه شامل محيط ، يعطى أصدق صورة للسنن التى تسيِّر هذا التاريخ . وبما أن هذه السنن ذاتها من صنعه سبحانه ، إرادة وعلما ومصيرا ، فإن هذا التفسير يأخذ صفة الكمال .. ويزيده موضوعية وكمالا رؤية الله سبحانه البعد الثالث الذى يصنع التاريخ : فطرة الانسان ، تركيبه الذاتى .. الحركة الدائمة فى كيانه الباطنى ، اهتزازاته العقلية والعاطفية والوجدانية .. وإرادته المسبقة ، وما تؤول اليه هذه جميعا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ..

(١٠)

ترتبط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا .. أى سورة قرات .. أى صفحة شاهدت .. طالعتك هذه الاشارات الى (مواقف) تاريخية لا ريب أنها تشكل بمجموعها نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الاسلامى للتاريخ .. فمساحة واسعة من القرآن إذن يشغلها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى من أجل هذا كان التفسير الاسلامى أمرا محتما ما دام القرآن الكريم يضرب دوما على هذا الوتر الحساس ويدعو المتأملين الى الخروج بنتيجة نهائية عن مصير الحركة التاريخية ودور الانسان فى مداها القريب والبعيد .

ان جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات تنصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهى وتنبثق عن رؤية وتفحص التاريخ .. وان أشد صيحات المفكرين المعاصرين حدّة ومرارة تلك التى ترفع أعلام الخطر الذى يحيط بمسيرة البشرية ، وتنبثق هى الاخرى من رؤية التاريخ ، ان القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لمجرد ترف ذهنى ، أو إشباع حاجة المؤمنين الى القصص والصور والمشاهدات .. انما يجىء بها من أجل أن (يحرك) الانسان صوب الأهداف التى رسمها الاسلام ، ويبعده فى الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق التى أودت بمصائر عشرات ، بل مئات ، من الأمم والجماعات والشعوب .. (فالحركة) لا مجرد السرد القصصى كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن .. كما أنها ــ فى الوقت نفسه ــ هدف الصيحات المعاصرة التى سبرت أغوار التاريخ وأشارت الى الهاوية التى تنتظر مسيرة

القرن العشرين .. « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » !!

(١١)

إن (الموقف) الاسلامى من التاريخ يتميز بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبى الذى يسعى الى قولبة الوقائع التاريخية وصبّها فى هيكله المسبق ، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الأمر الذى يوقع التفاسير الوضعية فى كثير من الاخطاء والانحرافات . أما التفسير الاسلامى فإنه ينظر بانفتاح تام الى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعا دون أن يقتصر على الاحمر أو الاخضر لكى تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة فى امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة .. فيما كانت عليه ، وما هى كائنة عليه وما سوف تكون عليه .. انه — مثلا — يعترف (بالتمايز القومى) ويعطى لهذا العامل (الواقعى) حجمه الحقيقى ، رغم نزعة الاسلام العالمية واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الأرض أو اللون أو الجنس .

وهذا يقودنا الى حقيقة اخرى وهى أن التفسير الاسلامى تفسير (واقعى) لا يتأثر بقيمه ومثالياته فى تفسيره للواقع — كما يفعل هيغل وماركس على سبيل المثال — انما يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل او تحوير ، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق الى مثالياته وآفاقه .. انه يسمى معركة (حنين) هزيمة وغرورا ، ويعلم المسلمين ، من خلال واقعيته هذه ، الا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا فى تفسير الأشياء والوقائع .. ولكنه يعلمهم — فى الوقت نفسه — أن يفيدوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ لصياغة العالم المرتجى ..

وهكذا فإن ثمة فرقا حاسما بين المذاهب الوضعية وبين المذهب الاسلامى فى تفسير التاريخ .. فى الاولى تصاغ حقائق التاريخ وفق المذهب المصنوع سلفا فتقسر على الانسجام مع وضعية المذهب وتساق للتدليل عليه وتأكيده . وهذا الخطأ يجىء من حقيقة أن وقائع التاريخ سبقت فى الزمن تخطيط المذاهب ، ومن ثم فإن المذاهب جاءت كقضية (بَعدية) تسعى الى أن تجبر (القَبْليات) على التشكل بها .

أما فى القرآن فإن التفسير ينبثق عن رؤية الله سبحانه ، وهى رؤية تختلف عن الرؤية الوضعية فى أنها تحيط علما بوقائع التاريخ ، بأبعادها الزمنية الثلاث : الماضي والحاضر والمستقبل ، لأنها رؤية الذات الإلهية التى صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها فى مكانها المرسوم من خارطة التاريخ البشري والكونى على السواء .. ومن ثم فإن التفسير القرآنى ليس أبدا مسلّمات بعدية تسعى الى أن تقولب حوادث التاريخ القبلية فى إطارها المعتسف ، إنما هو مذهب ينبثق بأسلوب (موضوعى) (عما حدث فعلا) وعن طبيعة التصميم التاريخي للبشرية ، فهو إذن تبلور للخطوط الأساسية لحركة التاريخ يصيغها القرآن الكريم فى مبادىء عامة يسميها (سننا) ويعتمدها المفسرون الاسلاميون منطلقا لا لتزييف التاريخ وانما لتفسيره وفهمه وادراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة .

الرؤية الوضعية تمتد الى الماضي لتقبس منه و (تختار) ما يعزز وجهات نظرها ، والرؤية القرآنية تحيط بالماضي لكي تكشفه في قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى الى فهمه ، والى أن يرسم على ضوء هذا الفهم ، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلة ، باعتبار أن الأزمان الثلاث إنما هي وحدة (حيوية) تحكمها قوانين واحدة كتلك التي تحكم الحياة سواء بسواء .

(١٣)

إذا ما نظرنا الى مذاهب التفسير في موقفها من حتمية سقوط الدول والحضارات نجدها تتفق جميعا ، وبضمنها الاسلام ، في هذه الحتمية . (فهيغل) في مثاليته يرى الناس في ممارساتهم التاريخية كآلات مرحلية يستخدمها العقل الكلي في فترة محدودة ، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكي يجيء ذلك اليوم الذي يكون التاريخ فيه بمثابة التجلي الكامل لهذا العقل . و (ماركس) يخضع التاريخ ، بدوله وحضاراته وتجاربه ، لحتمية تبدل وسائل الانتاج وانعكاسه على (الظروف) وان كل وضع تاريخي مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكي الدائم .. ثم ما يلبث ماركس أن يقع في تناقض أساسي مع نظريته عندما يقرر (الدوام) و (الثبات) لمرحلة حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) حيث لا زوال بعدها .

أما (اشبنغلر) و (توينبي) فيعلنان عن حتمية سقوط الحضارات كأمر لا مفر منه .. وبينما يغرق اشبنغلر في تشاؤميته نجد توينبي يقع في تناقض صريح — هو الآخر — عندما يؤكد في الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملا في بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير .

هذه المذاهب ، وغيرها ، تقف جميعا موقفا يكاد يكون موحدا إزاء حتمية السقوط .. والذي يفرّق النظرة الاسلامية عنها انه يقول بما يمكن تسميته (الحتمية التفاؤلية) أي أنه يقرر حتمية سقوط الدول والحضارات لكنه يقرر في الوقت نفسه امكانية أية أمة أو جماعة ان تعود باستمرار لكي تنشيء دولة أخرى أو تقيم حضارة جديدة بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك وأولها عملية (التغيير الداخلي) التي أكد عليها القرآن بقوله « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والتي تشمل كل التغييرات الأخلاقية الأساسية التي تمكن الانسان من مواجهة التاريخ .

والاسلام يؤكد مرارا على دور الإرادة البشرية في صياغة المصير ، ومن ثم فإنه ما أن تتهيأ هذه الإرادة للعمل في ميدان التاريخ عن طريق الشحذ والاستعداد الأخلاقي ، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات المادية والخارجية من أي نوع كانت ، فتمجنها وتصوغها من جديد لصالح الانسان .. وهكذا يعود الانسان — في الاسلام — لينتصر على الحتميات وليستعيد قدرته الأبدية على التجدد والتطور والابداع ! بينما تقف في مواجهته كل المذاهب الوضعية لكي تؤكد أنه اذا ما أطيح بتجربة تاريخية فإنه لا قيام بعدها لأنها محتوم عليها أن تواجه هذا المصير في عالم لا يعترف بقدرة الانسان على المجابهة والاستعادة والانتصار .. !!

يؤكد القرآن الكريم على أن (العصيان) بشتى أبعاده ، تجنى ثماره المرّة ليس فى الآخرة فحسب ، بل هنا فى الدنيا أولا . . فالعذاب ينتظر العصاة هنا وهناك ، فى الارض والسماء ، ويتنزل قوة وضعفا لكى يكافىء مدى العصيان وحجمه وطبيعته . فالمصير ــ فى القرآن ــ واحد لأنه ينبثق من أعماق الانسان ، من مسؤوليته الفردية الحرة ومن اختياره ، هذا الاختيار لأنه (رهين) بما كسبت يداه . المصير واحد ، وتلك هى قمة الانسجام مع طبيعة الوجود الانسانى والبناء الحضارى ، فليس ثمة (تعليق) للجزاء الى يوم البعث ، اذ أن هذا يعنى تناقضا واضحا مع أبسط القوانين التى تسيّر الحياة والأشياء . اذ لا يمكن أن يزرع الانسان حسكا وشوكا ثم يقطف ثمارا حلوة . . ما دام قد زرع العلقم فلا بد أن يقطف العلقم ويزدرد الشوك ويذوق المرارة ، بناء على طبيعة قوانين الحياة ذاتها . . القوانين التى تؤكد على أن (الجزاء) يتشكل من جنس العمل ، هنا فى الأرض وهنالك فى السماء .

بعبارة أخرى ، ان المصير الفردى والجماعى ، الذى ينبثق عن الاختيار ، سرعان ما يتشكل هنا أولا وفى السماء بعد ذلك ، ربما كان الفرق بين المصيرين فى الدرجة والنوع لا فى الكينونة ، فالمصير كائن هنا وهناك ، والخارجون عن طريق التوجيه الإلهى سيجدون العذاب ينتظرهم فى الأرض قبل أن يحاسبوا فى السماء . . عذابا يأتيهم من بين أيديهم وارجلهم ، ينصب عليهم من فوق ، ويتفجر من أعماقهم ، يزلزل عليهم وجودهم ، ويسقط مؤسساتهم الجماعية ، ويمرغ حضاراتهم بالتراب . . عذابا يوجّه سياطه تارة الى النفس وأخرى الى الجسد ، ويعمل معاوله حينا بعد حين فى كل (المعطيات) التى قدمها مجموع الأفراد على السواء ، وربما كان من بين هؤلاء بعض الصالحين ، إلا أن العذاب الذى يجىء وفق هذه الصيغة الجماعية لا يعرف أحدا دون أحد ، ولكنه يســـتهدف هذا التشكيل الذى أقامته الأيدى المعوجّة والنيات السيئة والقيادات الجاهلية . ومن هنا يأتى التحذير الخطير : « واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » !!

وهكذا نجد أعمال الانسان العاصى تسعى الى مصيرها الفاشل ، هنا أولا ، فتحبط ، ثم تعود لتمتحن مرة أخرى هناك ــ فيما بعد ــ فتحبط مرة أخرى « أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » « فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » . . الاحباط والعذاب ، دونما نصير . . ومن ينصر الخاطئين الذين اختاروا الطرق المعوجة ، وصدروا عن نيّات سوداء إزاء خالقهم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟!

فالمصير واحد إذن ــ وفق تعليمات القرآن وتحذيراته ــ ليس ثمة تجزئة ولا ازدواج وليس ثمة فاصل أو جـدار بين الارض والســماء ، ولا بين جـزاء الانسان هنا وجزائه هناك ، إن المؤمنين يجدون مصيرهم السعيد هنا أولا ، بركات تتنزل عليهم من السماء ، وأمنا ويقينا يتفجر فى أعماق أعماقهم كينابيع ثرّة دفّاقة ما لها من قرار « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء » . . « ان الذين قالوا ربنـا الله ثم استقامـوا تتنزل عليهـم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » . . وأية سعادة تعدل

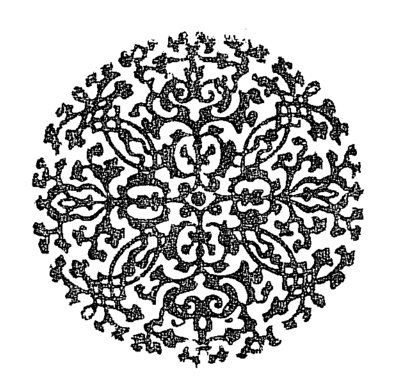
سعادة الانسان الذى تحرر من الخوف والحزن ؟ .. ان كل عذاب يهون إزاء الخوف والحزن ، وكل مصـــير يحتمل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والمحزونين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون ســـعادة ولا يحسون طعم الحيـاة ، إنهم ليســوا احياء ولكنهم ميتون ، قتلهم الخوف والحزن .. إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن بالافراد ، ولكنهما سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعى ويعطيان للتاريخ لونه القاتم وللحضارة وجودها القلق المهزوز .. اننا نلحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف على مساحات واســـعة من خارطة العالم ، وهو مصير كان لا بد من تحققه إزاء العصيان الذى غطى معظم مساحات الأرض .

ان المؤمنين أفرادا وجماعات ، كانوا دائما سعداء قبل أن ينتقلوا الى السماء ليضاعف لهم الجزاء . وقد اتاحت لهم هذه الســـعادة العميقة فرصة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها وتوجيهها وجهة بناءة لتصب فى مجرى الحضـــارة الواسع اللانهائى . وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصيرهم على طريق الأمة والجماعة ومصيرهما ، فكانت الأمم المؤمنة اكثر الأمم فاعلية وايجابية وإسهاما فى إغناء حركة التاريخ .

يبقى بعد هذا شىء يجب أن يقال : ان المصير هنا فى الارض ينبثق قبل كل شىء من ارادة الأفراد واختيارهم ، ولكنه سرعان ما ينساح على الجماعة كلها ليعطيها صفاتها وملامحها بما إنهـــا البحر الذى تصب فيه كل الإردات والاختيارات الفردية ، ومن ثم فإن الجزاء سينصب على الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فان العذاب ـــ فى الأرض ـــ قد يصيب عصاة بالذات ـــ كأفراد ـــ وقد يدمدم على الجماعة كلها فيمزقها شر ممزق .. كما أن السعادة ـــ فى الأرض ـــ قد تمنح المؤمنين بالذات ـــ كأفراد ـــ وقد تتنزل على الجماعة المؤمنة كلها فتوحدها وتجعلها جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

أما فى السماء فيتقدم الانسان وحيدا ليحاسب أمام الله سبحانه ، يحمل معه كتابه الذى خط فيه اختياره وسطر على صفحاته أعماله ، فينال ـــ بعد حسابه ـــ مصيرا مكافئا لهذا الاختيار وذلك العمل .. فى اليوم الآخر تتفكك الجماعات وينصب الحساب على المنطلق الأول للعمل الانسانى ، وهو الفرد الذى لا مفر له من أن يجابه مصيره هناك « لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » .. !!

ولكن ـــ وبين الحين والآخر ـــ ستشهد المحاكمة الكبرى يوم القيامة ، أمما شتى أسهم كل أفرادها أو جلهم فى العصيان ، صدروا عن نيات سوداء ، وقدموا أعمالا لا وزن لها عند الله .. أو أن بعضهم ـــ على الأقل ـــ سكت ولم يحرك يدا ولا لسانا ولا قلبا ، إزاء (العصـــيان) الذى يمارس أمام عينيه ، والفجور الذى يتمخض عن سكوته ، والظلم الذى يطيح برقاب الصالحين ، وهو واقف ينظر دونما حراك .. ستدخل هذه الأمــة النــار « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .. وصدق الله العظيم « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .



الحضارة وأركانها في الإسلام

للدكتور : احمد شوكت الشطى

عرّفت الحضارة بانها مجموعة مظاهر الرقى فى قارة أو فى قسم منها أو عند قوم من أقوامها وتطور أفراده وجماعاته نفسيا واجتماعيا وعلميا وتمتعه بالازدهار فى ميادين التجارة والصناعة وآفاق العلم وحقول الزراعة واتساع العمران وتوسع البنيان وشمول الرخاء بين أفراد الشعب وجماعاته وما الى ذلك مما يوفر للناس حياة فاضلة وعيشة مطمئنة هنية .

هذا وإذا كان التعريف بالحضارة صعبا كما بيّنا فكم بالحرى أن يكتنف التعريف بالحضارة العربية التى فجرت ينابيعها عند العرب ، رسالة الإسلام القرآن الكريم العربى اللسان وأسهم بها أمم وأقوام عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة ، عثرات وصعوبات تدفعنا الى التساؤل عما اذا كانت حضارة العرب بعد الاسلام هى حضارة إسلامية ، أم هى حضارة عربية ، أم هى حضارة عربية إسلامية ؟.

١ — هل الحضارة العربية التى أعقبت ظهور الإسلام عند العرب حضارة إسلامية ؟ انها فى الواقع حضارة بدات إسلامية اذ شع نورها من تعاليم الاسلام ونمت فى ظله وتحت رعاية خلفائه الأولين ، فهى من حيث انطلاقها حضارة إسلامية بحتة .

---

* الحضارة تعنى الاقامة فى الحضر .

٢ ــ هل الحضارة التي برزت عند العرب بعد الاسلام عربية بحتة ؟ الواقع انها حضارة عربية لأن القرآن العربي كان سبب انطلاقها ولأن الذين أسهموا بها من غير العرب كانوا ممن تثقفوا بثقافة إسلامية قوامها اللغة العربية التي عزت عليهم أكثر من لغة آبائهم وأجدادهم فانصرفوا عنها حتى انه ليس من المبالغ فيه القول بأنه لم يؤلف منهم بغير العربية خلال العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية إلا النزر اليسير (١) ، ان في ذلك كله ما يبرر نعت تلك الحضارة بالحضارة العربية .

٣ ــ هل الحضارة التي اعقبت ظهور الاسلام عند العرب حضارة عربية إسلامية ؟. الحقيقة أن تلك الحضارة انطلقت من مسلمي بلاد العرب ثم انتشرت في بيئات واقاليم مختلفة العقائد وبين أمم وأقوام عديدة عربية ومستعربة لا يدين بعضها بالاسلام ولكن مبادءه أعجبتها وعدل حكامه راعها وحرية الأديان في ظله أبهرها وأمره بالتحلي بمكارم الأخلاق كان موضع تقديرها فاندفعت الى الاسهام بتلك الحضارة وكان بعض هؤلاء عيسوى النحلة فأمدوا تلك الحضارة بما لديهم من علم ومعرفة ونقلوا اليها ما عرفوه من حضارات الأولين خاصة حضارة اليونان فأصبحوا مساهمين بتلك الحضارة مشاركين فيها ، لذلك رأينا أن تعريف تلك الحضارة بالحضارة العربية الاسلامية أقرب الى واقعها في جميع مراحلها فجرينا على ذلك في جميع مؤلفاتنا .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة العربية الاسلامية لحقهم من الحيرة ما لحق بنا فسماها بعضهم بالحضارة الاسلامية وفي مقدمتهم آدامز (٢) وسماها الآخرون بالحضارة العربية وفي مقدمتهم غوستاف لوبون (٣) .

اركان الحضارة العربية الاسلامية

تقوم الحضارة العربية الاسلامية على دعائم ومقومات عديدة :

اولها ــ دعامة الإيمان : ونقصد به تلك الدعامة التي تولد في الانسان الطمأنينة النفسية فتزوده بسلاح يخفف عنه آثار الخوف والقلق والمصائب والأحزان والأثرة والظلم والعدوان (٤) .

ثانيها ــ الدعامة العقائدية : لقد تميزت الحضارة العربية الاسلامية باحترام العقائد السماوية جميعها كما تميزت بتسامح ديني عجيب لم تعرفه

---

(١) يعزى للبيروني قوله : انه احب إليّ ان اهجى باللغة العربية من ان امدح بلغة قومي .

(٢) A dams مؤلف كتاب الحضارة الاسلامية .

(٣) G. be hon مؤلف كتاب الحضارة العربية .

(٤) لقد احسن الكاتب الانكليزي كوليم التعبير عن اعتزاز العرب بالإيمان واثره المطمئن فيهم بقوله : كنت مسافرا على باخرة الى طنجة في بلاد المغرب ، إذ بعاصفة هوجاء تهب فتشرف السفينة على الغرق فينزل الهول بالركاب فلا يدرون ما يصنعون ويشتد الهرج والمرج بينهم فيزيد من قلقهم ومن الفوضى في أعمالهم ، وبينما الناس كذلك إذ بي أرى جماعة من العرب استووا في صف واحد يصلون مكبرين مهللين مسبحين . فسالت أحدهم ماذا تفعلون ونحن على أبواب الغرق ؟.. فاجاب : سعينا للخلاص كغيرنا ولما لم نوفق جميعا انقطع عند غيرنا حبل الرجاء فاصبحوا في حالة من الشقاء ما بعده شقاء ، بينما كنا مؤمنين برحمة من الله لتنجينا مما نحن فيه من بلاء .

حضارة أخرى . لقــد بعث الحضارة العربية الاســلامية دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعها لذلك استهوت أفئدة العالم بضعة قرون (٥) .

الدعـــامة الإنسانية : تميزت الحضارة العربية الاسلامية باقرار وحــدة النوع الانسانى رغم تنوع أعراقه ومنابته وأوطانـــه واجتذت التمييز العنصرى من أصوله فالناس سواسية لا فضل لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح الذى يقدمه للمجتمع . ولا يخفى أن الحضارة الحالية مع تقدمها لم تستطع حتى يومنا هــذا أن تضع حدا للطغيان العنصرى فى كثير من مناطق العالم .

ولك أن تتساءل أيها القارىء عن قصة التمييز العنصرى وعن رأى الحضارة العربية الاسلامية فيها . لقد كان الإيمان بالتمييز العنصرى حليف قــوم تبنـــوه منذ قديم الأزمان فلم يتراجعوا عنه مع ما جلب لهم من محن وشقاء ، ولقد وسع الفكرة فى أواخر القرن الثامن عشر عالم انجيلزى هو السير وليم جونز اذ اكتشف بعض الصلات بين اللغات اللاتينية والاغريقية والالمانية والسنسكرتيية فادعى بوجود قرابة وشيجة بين شعوبها ثم أيده فى ذلك عالم آخر هو السير ماكس ميللر فزعم أن آباء الهنود والأوروبيين الأولين كانوا يقطنون أراضى آريان فى أواسط آسيا ثم هاجروا منها متجهين الى الجنوب أو الى الغــرب حاملين معهم آثار حضارة ميكانيكية . قسم بعد ذلك ميللر الشعوب الى آرية وغير آرية وزعم بأن الشعوب الآرية متفوقة على غيرها . ولقد أخذت الفكرة الآرية والتفوق العنصرى المستند اليها فى المانيا النازية طابعا سياسيا وقوميا فقسَّم علماؤها الشعوب الى درجات متفاوتة الاستعداد والكفاءات تأتى بموجبها المانيا النازية فى طليعة المتفوقين .

والحقيقة أن الشعوب والأعراق وان كانت متفاوتة فى بعض الصفات إذ بينها الأبيض والأسود والأصــفر والأحمر ، فانها من حيث الاســتعداد للرقى والحضارة سواء فلم تكن الحضارة وقفا على شعب واحد فى زمن من الأزمان بل تناقلتها أمم مختلفة فكانت الصين مقرا لها كما كانت بلاد وادى النيل ووادى الفرات من مراكز انبعاثها ثم انتقلت الى اليونان فالى العرب الذين احتضنوهـــا وزادوا عليها ثم انتقلت الى الغرب ومنه الى العالم كله .

ولو أردنا تصنيف الأمم استنادا الى عصورها الذهبية فى ماضيها لاعتبر الأوروبيون فى أحط الدرجات . هذا وان العلم لا يقر أيضا التفوق العنصرى ولا نقاوة الأعراق ، ولقد أثبت البحث فى زمر دماء البشر أنه ليس فى العالم شــعب خالص النقاء الا فى فئات معزولة وفيما عداها فان الدماء اختلطت بتأثير الهجرات الجماعية التى تمت عبر التاريخ .

والواقع أن اقحام المواهب العقلية والاستناد الى تفوقها الموقوت فى تقسيم الشعوب وتمييز الناس بعضها من بعض على هذا الأساس أمر شجبه العلم وأبطله التاريخ وكذبته المعرفة بشتى نواحيها .

المقومات العلميـــة : لقد اعتمدت الحضارة العربية الاسلامية على العلم كما اعتمدت على الايمان فخاطبت العقل والقلب معا واثارت العاطفة والفكر فى آن واحد .

لقد حبب القرآن الكريم بالعلم فقدس القلم ، حتى أقسم به فى قوله تعالى :

---

(٥) إنه لمن المؤسف أن يكون فى العرب فئات تستخف من قومنا وحضارتهم باعتبــار أنها ليســت شيئا اذا قيست بروائع الحضارة الحديثة واختراعاتها وفتوحاتها فى آفاق العلم الحديث ، وفى رأيى أن ذلك لا يبرر الاستخفاف بحضارتنا بل يدعو الى بعثها من جديد .

« **ن والقلم وما يسطرون** » (٦) واشار الى انه وسيلة العلم والتعلم بقوله تعالى : « **اقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم** » (٧) وساعد على مطاردة جيوش الأوهام والأساطير فى العالم قديمه وحديثه فنهى الكتاب الكريم عن ان يتبع احد احدا عن غير علم فى قوله : « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** » (٨) . كما شجعت الأحاديث الشريفة على طلب العلم وتخليده والعمل به بأقوال بلغت فى البلاغة قمتها ، وفى الحكمة ذروتها . من ذلك :

أطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فضل العلم خير من فضل العبادة ، قليل من العلم خير من كثير من العبادة ، ومنها : اكرموا العلماء ، تعلموا وعلموا فان أجر المعلم والمتعلم سواء ، ومنها : كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة (اى جاهلا) ، ومنها أيضا : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فاذا ظن انه علم فقد جهل ، ومنها : باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها .

ان تاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية أعظم من تلك التى نشأت فى البلاد العربية والاسلامية ولا يعرف حركة فى العالم تحاكى اقبال العرب والمسلمين عليه ، فقد كان تهافت طلاب العلم فى جميع انحاء البلاد العربية والاسلامية على بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها من مراكز التعليم أشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات اوروبا وأمريكا فى هذه الأيام وكان الأساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الأقطار التى تتكلم العربية لا طمعا فى مغنم وانما حبا فى نشر أفكارهم وتلقين معارفهم ، وكان التزاحم بين الأساتذة على اشده فأقدرهم وأفهمهم من جمع حوله أكبر عدد ممكن من المستمعين . وكان القرآن الكريم أساسا فى حلقات التعليم (٩) . ولا ريب أن اختلاف الأساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين أستاذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى إلهاب شعلة الفكر فى أدمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد ، فقد كان الطلاب لا يترددون فى الاستماع الى أستاذ من نيسابور

---

(٦) سورة ٦٨ : آية ١

(٧) سورة ٩٦ : آية ٤ و ٥

(٨) سورة الاسراء ١٧ : آية ٣٧

(٩) ولقد اقترح أن تسمى الحضارة العربية أو الحضارة الاسلامية بحضارة القرآن للأسباب الآتية :

١ – لأن الحضارة ، موضوع بحثنا وليدة ثورة إنسانية شملت جميع مرافق الحياة دعا اليها القرآن ، فبدل حال العرب وغيرهم باحسن مما كان .

٢ – لأن القرآن خلد العرب وحال دون أن يطويهم الزمان ولولاه لأصبح العرب وما يقال عن حضارتهم فى خبر كان .

٣ – لأن توجيه القرآن الحضارى معجز نكتفى بالتدليل على ذلك شجبه العنصرية منذ قديم الزمان ، شاغلة الدنيا والناس الآن .

٤ – لأن أسسه فى لم الشمل مدعاة الى التبصر بها والعمل بهديها وسبيل الى بعث الحضارة العربية وتخليدها ، فقد بينت آياته المعجزات أسباب هلاك الأمم وأسباب خلودها وأعظمها شأنا اتفاق كلمتها .

وأخيرا : لأن القرآن وسيلة جمع الشمل بين العرب ، مسلمهم ومسيحييهم ، وبين جميع المسلمين ، فمن لم تأخذه آياته بالدين ، أخذته بالبلاغة والتعبير الرصين أو بالمثل العليا والأخوة الإنسانية التى هى هدف جميع المصلحين فى كل آن وحين .

ثم ينتقلون الى أستاذ من سمرقند بعد أن يأخذوا من الأول ما يريدون أخذه دون أن يجد الطلاب والأساتذة غضاضة فى عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة القرآن العربية .

لقد كان تأجج الفكر العربى فى السنوات التى أعقبت انتشار الاسلام شبيها بتوهج النور من نار كامنة تحت الرماد أيقظها الظفر والسمعة العالية الممتازة . لقد أضاء العلم العربى بأشعته العلمية العالم المعروف آنذاك ، وليس فى الدنيا ما يحاكي توقد شعلة العلم العربى وانتشاره . ولم يكتف العرب بنقل العلوم بل بسطوها تارة ووسعوها طورا وشرحوها أحيانا وأضافوا اليها الكثير من المعرفة.

الركن الصحى : اعتبرت الحضارة العربية الاسلامية التمتع بالصحة التامة نوعا من أنواع النعيم فحرصت على توفيرها للانسان فى مراحل عمره مذ يكون جنينا الى أن يصبح شيخا . لذلك لم ينظر الاسلام الى الزواج كأمر دبرته الغريزة بل حثّ على البحث فى صحة عرسيه (الزوج والزوجة) جسما ونفسا ضمانا لحسن ثمره ، الأولاد ، لأن صفات السلف وقسما من أمراضه تنتقل الى الخلف بالوراثة .

جاء فى القرآن الكريم : « **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم** » (١٠) ، وفسر حديث ابن عباس القائل : (**أربع لا يجزن فى البيع والنكاح : المجنونة والمجذومة والبرصاء والعفلاء**) (١١) بعض نواحى الصلاح الذى أشارت اليه الآية الكريمة ، ووضع عمر بن الخطاب استنادا الى تلك الآية وذلك الحديث الشريف تشريعا جاء فيه (**أيما رجل تزوج امرأة فدخل بها فوجدها مجنونة أو برصاء أو مجذومة أو عفلاء أو بها قرن فلها الصداق بمسيسه أياها وهوله على من غره منها**) .

فاذا أردنا صياغة هذا التشريع صياغة تتناسب مع تقدم العلم جاز لنا القول بأن الاسلام ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض النفسية الخطرة ، وما الجنون إلا نوع منها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض المعدية ذاكرا الجذام نموذجا لها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض الوراثية بذكره البرص نموذجا لها ويبطل أخيرا زواج المصابين والمصابات بالتشوهات العائقة للزواج والأنسال .

ولقد حذّر الاسلام من كل زواج غير مرضى الثمرة بالأحاديث الشريفة الآتية: (**اغتربوا لا تضووا ، تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، إياكم وخضراء الدمن**) . يتبين من ذلك حرص الحضارة الاسلامية على صحة النسل بسلامة أصليه وارشادها الى ما يضمن حفظ صحة الإنسان فى سنى حياته بحسن تغذيته من غير افراط أو تفريط والعناية بنظافته رمز الذوق والجمال ودليل الأدب وحسن الحال (١٢) وبدعوته (الانسان) الى الحركة لأنها حسنة وبركة فرضها الاسلام بالصلاة وشجّع عليها بالأحاديث الشريفة التى سنت الرماية والسباحة والمسايفة والمبادحة استعدادا لمجابهة الأمور بقوة دليل القول المأثور (كان أصحاب الرسول يلعبون ويتبادحون فاذا حزمهم الأمر كانوا هم الرجال) .

لقد حرم الاسلام ضمانا لصحة الجسم والعقل والنفس ، المسكرات والمخدرات وحتى الدخان . فقدر بحاثو الغرب الاختصاصيون مقام الصحة فى

---

(١٠) سورة النور (٢٤) الآية ٣٢ .

(١١) العفلاء : من العفل وهو تشوه فى المرأة يمنع من التناسل .

(١٢) وقد روى فى الأثر : بنى الدين على النظافة . وجاء فى الآية الكريمة (والله يحب المتطهرين) .

مقومات الحضارة الاسلامية فأعجبوا بها اى اعجاب فأكبروا شخصية الرسول الكريم واعتبروه أعظم مشروع صحى انجبه العالم .

ركن التكافل الاجتماعى : لقد دعت الحضارة العربية الاسلامية الى الاسهام بالتكافل الاجتماعى ففرضته على الموسر ومتوسط الحال بالزكاة ورغبت فيه جميع الناس على اختلاف ثرواتهم بالصدقات ووضعت قواعد للتضامن بين أفراد الأسرة الواحدة فأوجبت لأرباب الحاجات منهم حقا مفروضا يؤديه لهم ذوو اليسار منهم بما يقوم بكفايتهم من مؤونة وكسوة وسكنى وغير ذلك من شؤون الحياة الضرورية وجعل على الزوج نفقة زوجته من كل لوازم الحياة ، بل ونفقة زوجة قريبه الذى تجب نفقته عليه ، ولقد دعا الاسلام الى محاربة المتنعين عن أداء المفروض عليهم من الزكاة ، فحارب أبو بكر المتنعين وقال جملته الشهيرة :((**والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه**) وقد نظمت فريضة الزكاة وبينت مقاديرها وأوقات ادائها بحيث يشعر الأغنياء بأنهم حراس على المال حتى يؤدوا منه حقوق الفقراء فصار المال بذلك بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير .

ويرى ابن حزم أن للفقراء والمحتاجين حقوقا فى أموال الأغنياء خلاف الزكاة حتى اذا لم تكفهم وجب على الأغنياء أن يقوموا بكفايتهم وان يجبرهم ولى الأمر على ذلك اذا لم يقوموا به من أنفسهم ، وأجاز الاسلام صدقة الوقف وهو حبس رأس المال أبدا والتصدق بثمرته على جهات البر والإحسان . وكان ينفق عمر بن الخطاب على المحتاجين فكان يعطى الأموال على كفاية الرجل وعلى ماضيه ومقدار حاجته وكان يزيد العطاء لمن يولد له ولد ، وهذا ما كفلته اليوم أرقى دول العالم فاذا ترعرع الولد زاد العطاء واذا بلغ زاده أيضا ولم يكن يفرق فى اعطائه للفقراء والمساكين بين مسلم وغير مسلم . ولما كثرت الأموال فى بيت المال فى عهد الفاروق انشأ له ديوانا نظمت أعماله تنظيما محكما ودونت فيه ميزانية الدولة وخصص للفقراء منه نصيب وافر يداوى منه مرضاهم ويكفن موتاهم وينفق عليهم منه .

لقد فرض الاسلام الزكاة كأحد أركانه وجعلها حقا للفقراء بالآية الكريمة : ((**وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)) كما جعل الزكاة منّة يمتن بها على الأغنياء فلا يمتنون بها على الفقراء وذلك بالقول الكريم : ((**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**)) .

وتمشيا مع روح السماحة التى اتسمت بها الحضارة العربية الاسلامية لم يجعل الاسلام الانتفاع بأموال الزكاة قاصرا على المسلمين بل جعله شاملا كل محتاج ، قال تعالى : ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**)) . وعلى هذا الأساس وجد عمر بن الخطاب مرة على باب المسجد رجلا أعمى يتكفف الناس فسأله عن حاله فعلم أنه يهودى فأجرى له رزقا يكفيه . وفى اعطاء غير المسلمين الحق فى الافادة من أموال الزكاة يضرب الاسلام المثل الأعلى فى السمو الانسانى .

يتوقف تقدم المجتمع على شعور أفراده بواجبهم نحوه وقيامهم بهذا الواجب كما يتوقف هذا التقدم على شعور المجتمع بمسؤوليته نحو كل فرد من أفراده وسعيه لتحقيق الرفاهية والطمأنينة له .

والمثل الأعلى للمجتمع هو ذلك المجتمع الذى تسوده روح التراحم والترابط التى تسود العائلة فيشعر كل فرد بأنه عضو فى هذه الأسرة الكبرى التى تقدم

له الرعاية والأمن والمساعدة فيما اذا احتاج اليها .

دعامة الاشتراك بمؤتمر الحج السنوى : الحج معروف ينتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وليس من المعقول أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجرد الطواف والوقوف في عرفات فان الله يعبد في كل مكان ويجيب الداعى فى كل مكان ، وإنما الغاية السامية المقصودة من الحج مسارعة القادرين من أرباب الراى والحزم الى البحث فى أمور المؤمنين ليشهدوا منافعهم وليزيلوا تفثهم . أما المنافع فمعروفة وهى ما تعود بالخير على المجتمع أولا وعلى الفرد ثانيا ، وأما إزالة التفث فليس المقصود منه ازالة التفث الأدنى وهو ازالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة ودرن العاطفة ، وأما درن العقل فهو وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ، وأما درن الجماعة فهو وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وأما درن العاطفة فهو الوقوع تحت سيطرة القوة الغاضبة وضغط الشهوة والهوى .

مقومات الدفاع عن السلم والحرية فى الحضارة الاسلامية : لقد دعت الحضارة الاسلامية الى توفير الأمن والسلم ، الى التعاون والتآخى الى اقرار الحق فى نصابه والى تمتع الناس بحريتهم الطبيعية وبثمار العدل والمساواة ، فكانت حضارة إنسانية سداها الموعظة الحسنة وكلمة الحق ، ولحمتها الدفاع عن حقوق الانسان وحفظ كرامة ورحمة الانسان لأخيه الإنسان ، لذلك نبذت الحضارة الاسلامية القتال فلم تلجأ اليه إلا اذا التوت بالعقول السبل فعبثت بالحياة وأراقت الدماء وتحكمت بالجبروت والطغيان وقضت على العدل وميزت الإنسان عن أخيه الانسان وانتزعت الأوطان أو اغتصبت البلدان سمحت حينئذ تلك الحضارة بارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال حتى يرجع أهل البغى والعناد الى الصواب والرشاد . ولقد طالبت الحضارة الاسلامية فى هذه الحال بالاستعداد الكامل وتحضير كل وسائل القوة ، كما دعت الى أن تكون الأمة كلها جندا مدربا على السلاح لا يستثنى منهم سوى أرباب الأعذار المشروعة. ولقد شجعت تلك الحضارة النساء على الاشتراك فى الحروب للتمريض ، هذا كله اذا لم يهجم العدو فاذا هجم وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المراة ولو بدون إذن زوجها وكذلك الولد بغير اذن أبيه ، ووضعت فى الحروب قواعد إنسانية رحيمة تفوق كل تصور .

وإذا كانت حضارتنا اليوم تفخر بمبادىء الصليب والهلال الأحمر فان هذه المبادىء لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لما طالبت به الحضارة الاسلامية ، فقد أوجبت الافراج عن الأسير فى حالات كثيرة ، منها المبادلة والفداء وتعليم أطفال العرب والمسلمين ، كما حببت الناس برعاية الأسرى بل عدت القائمين بذلك فى زمرة الأبرار (١٣) . كما أنها منعت قتل الرهبان ، وأنكرت قتل النساء والأطفال ولو احتمى بهم العدو وغير ذلك ، وسوف تبقى مبادىء الرسول وخلفائه وأعمالهم فى غزواتهم وكلماتهم أبلغ ما يمكن أن يتصوره العقل فى هذا الميدان الإنسانى إذ عممت الرحمة على الانسان والنبات والحيوان ، وهل من قول مدعوم بالعمل فى حرب ينم عن الرحمة أبلغ من قول الرسول وخلفائه وأعمالهم ، وكانوا حين تعقد الألوية على أمراء الجيوش يوصونهم بتقوى الله وعدم الاعتداء مرددين التواصى الآتية : ((**لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفلا**

---

(١٣) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .

صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند همة النهضات وفى شن الغارات ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا المأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا أندفعوا باسم الله وامضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن ذلك قول الرسول : **« لا تقتلوا عسيفا ولا أسيفا . أى لا تقتلوا الشيخ ولا الأسير »** . وفى حديث على رضى الله عنه : **لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح (١٤)** .

وصفوة القول : بنت الحضارة الاسلامية سياستها الاصلاحية على اعتبار السلم دعامة المجتمع الانسانى والحالة الأصلية التى تهيىء للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، واعتبرت الحرب وسيلة لشذوذ لم ينفع فيه الحوار والحكمة والموعظة الحسنة ودفاعا عن النفس ، فاذا وقعت أوصى بالرأفة فيها بألا تكون حرب تنكيل وتخريب فلا يقتل فيها النساء والشيوخ والعجز والأطفال (١٥) .

ركن الرفق بالحيوان : تميزت الحضارة العربية الاسلامية بما يفاخر به اليوم ويعد مظهرا من مظاهر الحضارة واعنى به الرفق بالحيوان ، وقد نقل عن الرسول قوله : فى كل ذات كبد اجر ، فاستفسره احد الصحابة وهل أن لنا فى البهائم أجرا . فأجاب فى كل ذات كبد رطبة اجر . وتمضى الحضارة الاسلامية فتشرع الرحمة بالحيوان وتحرم المكث طويلا على ظهره ، فيقول الرسول فى ذلك : لا تتخذوا من ظهور دوابكم كراسى وتحرم اجاعته وتعريضه للضعف والهزال ، وقد أوصى الرسول بالبهائم المعجمة بقوله : اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، كما يحرم ارهاقه بالعمل فوق ما يتحمل . وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه ، وقد ذهبوا الى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم اذا لجأت هرة عمياء الى بيت شخص وجبت نفقتها عليه ، وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان وكان من وظيفة المحتسب ان يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها أو ضربها ، وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير وحسبنا أن نجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقافا لرعى الحيوانات المسنة العاجزة . وكان عمر بن الخطاب يصرف معاشا للفقير صاحب الدابة المريضة ينفق منه عليها حتى تشفى .

الركن الأخلاقى : يقول برنار فى كتابه عن فلسفة الثورة الفرنسية (١٦) :

---

(١٤) وقد قال أحدهم بذلك شعرا مخاطبا قائد الجيش العربى الأول :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه	وتضرم فى تلك المواطف خابيا
تقول لهم لا تحملوا غير زادكم	ولا تفسدوا من الماء عذبا جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى	ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا	ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الأسرى فرب محارب	الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

(١٥) وقد قال الرسول فى ذلك : لا تقتلوا الذرية فى الحرب .

(١٦) ص ٦٧ ، يقول فولتير فى كتابه الى مركيزة دى دى ديفان : ان بين البشر تضامنا اخلاقيا سببه أن فى كل فرد منهم غريزة أخلاقية تشعره بالعدالة كما تشعره بالظلم الذى يقع على إنسان آخر .

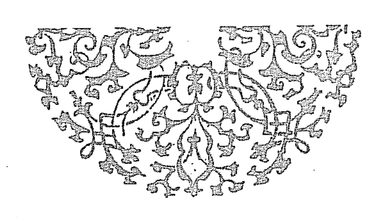
لقد احتاج الانسان الى قرون لمعرفة جزء من قوانين الطبيعة فى حين يكفى الرجل الحكيم يوم واحد لمعرفة واجبات الانسان الأخلاقية .

لقد اشاد كل من محمد والمسيح عليهما السلام بالأخلاق الفاضلة وبوجوب التحلى بها لأن الأخلاق الفاضلة واحدة فهى هى لدى كل من يعملون عقلهم بالرغم من جميع الخلافات التى يمكن أن نلاحظها فى الأعراف أو فى المصالح المتصارعة أو فى اللغات أو فى الأشكال التى تظهر بها القوانين والعبادات ، فاننا نجد فى كل مكان رأس مال مشتركا بينها وقانونا يصلح لجميع البلدان وتعرف بداهته فى داخل ذواتنا أنه قانون الأخلاق . فان فى داخلنا غريزة تجعلنا نشعر بما هــو عادل واحساسا بالعدالة يشترك فيه جميع الناس وهو موجـــود بحكم قانون الطبيعة التى لا تعلن إلا حقائق منقوشة فى قلوب الناس جميعا . لقد غرس الله فى كل إنسان بذرة الأخلاق الكريمة فما عليـــه الا أن يعنى برعايتها لأنها قوام التعامل بين الأفراد وفى المجتمعات .

ذلك هو مكانة الأخلاق فى نظر الفلاسفة فما هو نصيب الحضـــارة العربية الاسلامية من الأخلاق والدعوة الى التمسك بها .

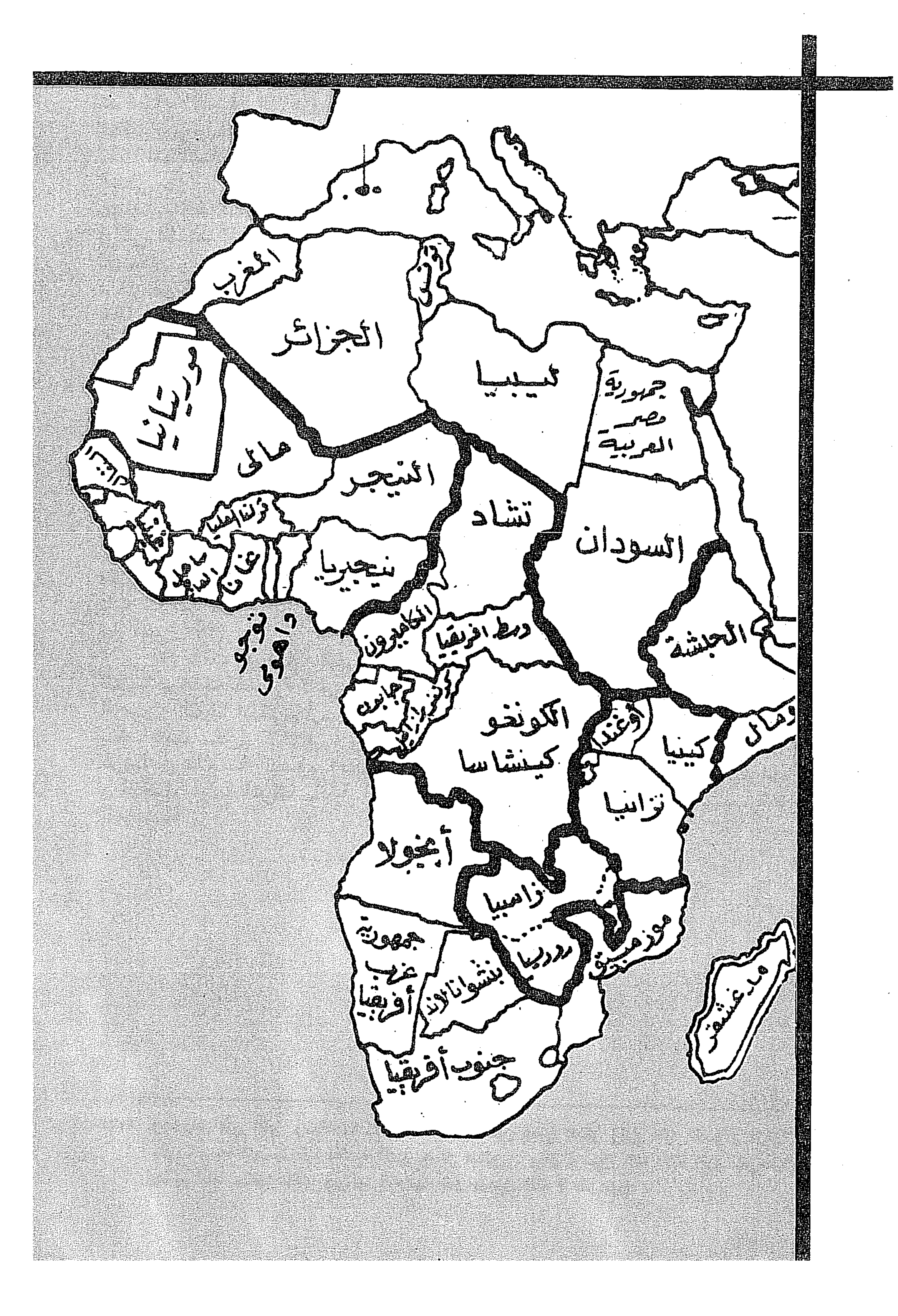
لقد وجهت الحضارة العربية الاسلامية الإنسان الى التحلى بمكارم الأخلاق معتبرة الأخلاق القويمة دعامة المجتمع فكان من ذلك أن دعت الى الألفة والتعاون والتآخى والتوادد بين الناس لا بل رغبت الناس بالعفـــو عن السيئة ودفعها بالحسنة ، فقد جاء فى سورة الروم : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** » . ولقد دعت تلك الحضـــــارة الى الانصـــــاف بالحكمـــة واللين بل عدت حسن الخـــلق من الدين (١٧) .

لقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية فى دعوتها الى مكارم الأخلاق شأوا ساميا لم تبلغه حضارة لا فى القديم ولا فى الحديث لا بل جعلت من كبرى أهداف الرسول الكريم اتمام مكارم الأخلاق كما يؤكد ذلك الحديث الشريف القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفى رواية وإنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، فاذا عرفنا أن فلاسفة اليـــوم اعتبروا الأخلاق المقيـــاس الوحيد لتقدير الحضارات والمفاضلة بينها أدركنا مكانة الحضارة العربية الاسلامية بين الحضـــــارات العالميـــة .



---

(١٧) جاء رجل الى النبى وسأله ما الدين : فاجابه الدين حسن الخلق وكرر عليه السؤال مرارا حتى قال له الرسول أما تفقــه الدين حسن الخلق . وقيل لرسول الله فلانة تقوم نهارهـــا وتقوم ليلها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال رسول الله لا خير فيها .



المغرب
الجزائر
ليبيا
جمهورية
مصر
العربية
موريتانيا
مالى
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
غانا
توجو
داهومى
الكاميرون
وسط أفريقيا
الحبشة
الكونغو
كينشاسا
أوغندا
كينيا
تزانيا
جابون
أنجولا
زامبيا
روديسيا
جمهورية
غرب
أفريقيا
بتشوانالاند
موزمبيق
جنوب أفريقيا
مدغشقر

الدعوة الاسلامية
وكيف نوجهها في جهادها المعاصر

للأستاذ : سفيان سالم

مسلمو افريقيا جزء هام من العالم الاسلامي :

لم يعـد ثمة شك في ان المسلمين الافريقيين الذين يعيشون اليوم داخل حدود القارة التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ر٢١٦ر١١ ميلا مربعا والذين يبلغ عددهم حسب آخر الاحصائيات التي نعرفها اكثر من ثمانين مليون نسمة ــ لم يعد ثمة شك في ان هؤلاء المسلمين يشكلون قوة هامة وحساسة في حاضر العـالم الاسلامي ومستقبله ..

واذا كانت الدول الاستعمارية الأوربية التي احتلت افريقيا قرابة خمسمائة عام ، بدأت بالبرتغال التي كان هدفها الرئيسي من سيطرتها على افريقيا محاربة الإسلام ، وإيقافه عن زحفه المقدس الى اقصى الجنوب .

اقول : إذا كانت هذه الدول قد نجحت الى حد ما في عزل مسلمي افريقيا جنوب الصحراء وبعض المسلمين في مناطق اخرى من افريقيـا عن الاتصال بالحركة الإسلامية العالمية ــ فان هذه الشعوب بعد ان حطمت اغلال الاستعمار واتاحت لنفسها فرصة الاستقلال والانطلاق الى ابعد من حدودهـا ستلعب من غير شك دورا هاما مع شعوب العالم الاسلامي في تحقيق مستقبل افضل لخير الاسلام والمسلمين .

وتظهر اهمية مسلمي أفريقيا ومدى المساهمة الضخمة التي يمكن ان يقوموا بها في حركة الدفع الثوري للدعوة الاسلامية ، اذا عرفنا مقدار ما تتمتع به قارتهم الكبيرة التي يعيشون داخلها من امكانيات اقتصادية واستراتيجية وبشرية هائلة ..

فالمحاصيل الزراعية التي تنتجها أفريقيا ، تكاد تتنوع على نحو شامل بحيث لا يوجد محصول زراعي آخر في العالم لا يزرع في أفريقيا ، وثروتها المعدنية بلغت من الضخامة حدا جعل أنتاجها من الماس يصل الى ٩٨٪ من الانتاج العالمي ومن الذهب ٥٥٪ منه ومن النحاس ٢٢٪ ..

هذا الى جانب الثروات المعدنية الهائلة الأخرى من اليورانيوم والكروم والكوبالت وغيرها .

أما امكانياتها الاستراتيجية في عصر أصبح فيه للموقع الاستراتيجي كل هذه الأهمية التي تحدد مصير الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيكفي أن نعرف أن حدودها الغربية تقع على المحيط الاطلسي ، ثم يحدها المحيط الهندي من جهة الشرق وهو المحيط الذي يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر أو بحر العرب ، وبعد ذلك تشرف أفريقيا في الشمال على البحر الأبيض .

واذا تركنا أهمية القارة الأفريقية من حيث وفرتها الاقتصادية ، وحساسية وضعها الاستراتيجي ، وتحدثنا عن طاقتها البشرية يبرز عامل رئيسي يصبح له امتيازه في تقدير مدى أهمية شعوب أفريقيا في ميزان الثقل الدولي .

فالاحصائيات الأخيرة تقدر بـ ١٩٨ مليون نسمة منهم خمسة ملايين من البيض الأوروبيين الذين استوطنوا بعض الأجزاء ، وهو عدد يجب أن نسقطه من الاحصائية حين نذكر عدد الشعب الأفريقي ..

هذه العوامل الثلاثة واعني بها ثروة أفريقيا الاقتصادية والبشرية ثم موقعها الاستراتيجي يجعل لمسلمي هذه القارة اهمية كبرى ، حين نقيم دورهم في ميدان الدعوة الاسلامية العالمية .

توزيع المسلمين في افريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الصليبية التي شنتها الدول الأوربية على مسلمي افريقيا وعلى الرغم من حركات التبشير التي دخلت مع الاستعمار الغربي الى هذه القارة ..

وعلى الرغم كذلك من ضعف المسلمين ماديا أمام أعدائهم الذين فاقوهم عدة وسلاحا ، واستمرار هذا التفوق بفضل الثروة الصناعية التي مكنتهم من الغلبة والقهر .

وعلى الرغم من كل هذه العوامل وغيرها استطاع المسلمون في افريقيا أن يحافظوا على عقيدتهم الروحية بل ليس هذا فحسب ، وانما أخذ عدد المسلمين يتزايد بفضل ما تنطوي عليه تعاليم الاسلام من البساطة والمبادىء الانسانية السامية ، وهذا ما صرح به رجال التبشير انفسهم .

في بحث شامل لمجلة « الكريستيان ساينس مونتيور » نشرته منذ عشرة أعوام تعرض الكاتب — وهو قسيس مسيحي قام بزيارة طويلة لافريقيا — للظروف التي تعرضت لها المسيحية فيها فقال :

(على الرغم من الجهود الضخمة التي يقوم بها المبشرون المسيحيون فى افريقيا اليوم ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التى تنفق على تحويل الافريقيين الى الديانة المسيحية .. فان الافريقيين أقل حماسا للدخول فى المسيحية منهم فى الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التى أجريت فى أفريقيا قد اكدت ان دخول الافريقى فى المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه فى الاسلام ، واستطيع أن أصرح بأن الظروف التى تكتنف المسيحية تعتبر السبب الرئيسى فى هذه النتائج فهى ديانة الرجل الأبيض الذى يستعمر الرجل الافريقى ، ويعامله فى شىء من القسوة والظلم ، وهذا ما لمسته بنفسى حين تحدثت الى بعض الافريقيين فى غرب أفريقيا . ثم انعزال رجال الدين المسيحى عن الحياة القومية والاجتماعية التى يعيشها الافريقيون .

فالاندماج لا يتم الا فى حدود أداء الوظيفة الدينية فقط ، كذلك يشعر بعض الافريقيين الذين تحولوا الى المسيحية أن الأوروبيين وهم فى نظرهم أصحاب الدين المسيحى ، لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت فى الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه فى المساواة مع غيره .. الخ .

يضاف الى هذه العوامل عامل آخر على جانب من الأهمية وأعنى به اصطدام تعاليم المسيحية أحيانا مع تقاليد الافريقيين القديمة ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع ان نقول — والأسف يملأ قلوبنا — أنه لا يزحف فى أفريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه فى سرعة مذهلة فان عدد الافريقيين المسلمين أصبح يتجاوز اليوم الثمانين مليونا — هذا بالاضافة الى تزايده تزايدا مطردا سريعا .

وقد أدركت حين لمست بنفسى أن الافريقيين ينظرون الى الاسلام على انه دين الشرق المسالم الذى لم يستعمر أفريقيا ، وهناك سبب آخر قوى لنجاحه وهو أن الاسلام يستطيع فى سهوليته أن يتلاءم مع تقاليد الافريقيين القومية .

ثم ان الاسلام لدى الافريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين ، وليس عن طريق رجال الدين ، وهو اعتبار له أهميته .

ومعاهد التعليم التى يهاجر اليها الزنوج فى القاهرة وبلاد الشمال الافريقى ليست هى الأخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين (على زعمه) بعد عودتهم (فعل السحر) .

أقول فلعل ما جاء على لسان هذا القسيس يوضح لنا فى جلاء طبيعة الصراع الدينى فى أفريقيا ومدى نجاح الاسلام فى مد خطوطه ومسالكه عبر مجاهلها وشعابها المختلفة .

ان الدين الاسلامى دين بسيط سمح لا يعترف بكهانة وطقوس وحين تخالط معانيه شغاف القلوب يتأصل فى عمق وتمتد جذوره الى أغوار النفس الانسانية فلا تستطيع قوة فى الدنيا كائنة ما كانت أن تؤثر فيه بعد ذلك .

ما هو الاسلام ؟

سؤال من وجهة النظر الى قضايا العصر واهتماماته والصراع البشرى فيه ، ما هو الاسلام ؟

والجــواب :

الاسلام دين الله ، بمعنى أنه تفسير للحياة على أساس « مشيئة الله الواحد » ..

ثم الالتزام بهذا التفسير الذى يتم نتيجة « ايمان » أى تصديق مـــن طريق العلم المباشر ، أو العلم بالاستدلال بأنه الله « الذى ليس كمثلـــه شىء » والذى هو صانع ومحرك ومدبر لهذا الكون ومن فيه وما فيه بين الأزل والأبد على أساس وحدة هذا الكون ، واتساق قوانينه وتساوى وحـــدات أجزائه وأشيائه أمام هـــذه القوانين ..

كذلك فان العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية والاقتصادية التى أوحى الله بها الى انبيائه والى محمد صلى الله عليه وسلم هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين ..

وهى مسئولية مقررة من الأفراد تجاه المجتمع ، ومن المجتمع تجاه الافـــراد ومن كل فرد تجاه نفسه من حيث أن هذه الشرائع والنظم هى أســـــاس قيام « مجتمع المؤمنين » ، الذى ليس فيه واحد من البشر أكثر من واحد ، ولا واحد أقل من واحد ، وان الجميع سواء فى موقفهم البشرى أمام القانون الأعلى على كل شىء وهو « الله » ..

هذا تعريف الاسلام من وجهة النظر الى موقفه العقائدى .

وأما من وجهة النظر اليه كمنهج لبناء المجتمع ، فان تعريفه على أساس مقوماته الاجتماعية يكون كالآتى :

الاسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، وعلمى بتجربته ، وهو يقوم عـــلى بناء المجتمع عن طريق بنائه الانسانى للفرد والقيادة فى هذا المجتمع جماعية بين أبنائه الذين هم بالايمان عباد الله واخوة بين انفسهم ، وسادة على الموارد المسخرة لهم ، والذين يقيمون مجتمعهم على أساس أن العمل هو مصدر الحقوق والدرجات للأفراد فى هذا المجتمع ، وعلى أساس انهم من نقطة الاخاء بالايمان ، شركـــاء بالعمل فى الموارد والثمرات والأموال التى هى فى المجتمع ، وفى أيدى المؤمنين أموال الله ..

وعلى أساس أن هذه المشاركة تعنى بالوازع وبالالزام أن يعـــود فائض الحاجة فى يد كل فرد ـــ أى ما يفيض عن حاجاته الأساسية ـــ الى أيدى اخوته الآخرين أى الى المجتمع الذى يتحرك بهذه الأموال على أساس العلم المستمد من تجربة الايمان الى العمران والانفتاح بالسلام على كل العالم .

من هذا التعريف نبدأ فنسأل ونبحث عن هذه المجالات التى تبرز فيها علاقة الاسلام الواضحة بالمفاهيم العامة لما جد من تيارات فكرية معاصرة وآراء مستحدثة وأساليب مختلفة للتبشير .

قضيـــة القضايـــا :

من بؤرة التقدم العلمى الحـــديث فى هذا العصر ، ومن مركز عمليـــاته العقلانية المعقدة يسطع ضوء خاطف تعشى فيه العيون فى جو تزأر فيه أدوات القوة وتمزقه ضوضاء الدعاية ، وتسيطر عليه أدوات الدقة .

فيضع أكثر الناس أيديهم على أعينهم يمسحونها ، ثم يعاودون النظر

يلتمسون ــ فى ظلمات هذه الأضواء المعتدية ــ طريقا مأمونا الى سلام العالم ، والى حياة جديدة تعيش فيها الأجيال البشرية ، وتنمو فى رعاية العلم بغير عدوان ..

فى عالمنا المعاصر حيث يقف المتقدمون والمتخلفون معا على حافة هاوية ، نجد الظواهر الآتية فى قضية الدين واستخدامات العلم :

١ ــ نجد انكماش جماعات المؤمنين بالدين الإلهى الحق على سطح الأرض .. دين الوحى الذى يجمع بين الايمان والعمل لبناء سلام الانسان وتقدمه .

٢ ــ نجد انتشار معتقدات العزاء الروحى من أول (اليوجا) الهندية الى (الغنوصية) اليهودية ، وهى معتقدات سرية باطنية تؤمن بالروح التى لا يمكن أن يقال ما هى .

وتنكر وتقهر الجسد الذى يمكن ان يقال ما هو ؟ بينما تطلب بالرياضة أو السحر أو الشعوذة ما لا يمكن أن يدركه الانسان الا بالايمان والعمل .

٣ ــ نجد انتشار القلق فى المجتمعات الصناعية العلمانية والاشتراكية من فراغ تحس به تجاه « قوة ما » وراء الطبيعة قوة غير مادية وان كانت حركة المادة هى الدليل الأول عليها هذا .. وان كانت المادية العلمية تبنى بالعلم السلام والتقدم فى مجتمعها شكلا من أشكال العدل الاجتماعى وتعلى من قيمة العمل وتكرس حقوق الجماعة دون استغلال .

الا أن ذلك يقع مشروطا بانكار الدين مما يترتب عليه ترك هذا الصراع المحس فى أعماق النفس الانسانية الكادحة فتتململ وتضطرب وتنظر الى بعيد ..

٤ ــ الى جانب هذا يوجد المجتمع الذى تتمثل فيه قضية القضايا ومشكلة المشاكل فى هذا العصر .

يوجد (المجتمع الرأسمالى) الذى يرفع أمام ضحاياه راية الايمان بينما يدفع بالعلم وتطبيقاته الى خدمة السياسات والخطط العدوانية للصهيونية والاستعمار .

هذا المجتمع العجيب المتظالم المتضارب يدفع العلم الى الخروج عن أهدافه والى التمرد على عقيدته يدفع بهذا المارد المختال (التكنولوجيا) . لينفلت من سلطان الارادة الخيرة فى المجتمع الانسانى وليستعصى على أى اتجاه للاخاء البشرى والسلام العالمى والرخاء المتبادل بين الشعوب ..

ان (أمريكا) تنفق مليارات الدولارات وهى ترسل أرسالياتها الاستعمارية تحت أثواب المسيح ، ورايات المسيحية ، لتقدم لبسطاء الشعوب النامية فى أفريقيا خدمة العلم المتقدم ، وترسم لهم الصليب على بعض السلع والتكنولوجيا الاستهلاكية ، وترى أن ذلك يبرر سرقتها لموارد ومستقبل شعوب حية فى آسيا وافريقيا .

وعندما لم تنجح هذه الخديعة البلهاء ، عادت (أمريكا) ترسل قاذفات قنابلها الضخمة وعليها الشعار المسيحى أيضا ، لتدمر وتحرق وتبيد شعوب (فيتنام وكمبوديا ولاوس) والشعب العربى باسم الحضارة الامريكية المسيحية . والدكتور القس « فلويد شاكلوك » الامريكى يبدى دهشته العظيمة من هذا الأمر فى كتابه (الايمان الثورى) ويقول :

« ان البعثات الأمريكية الدينية المسيحية قضت مائة وخمسين عاما تجاهد فى بلاد الصين ، ولكن فى ثلاثين عاما دخلت الشيوعية بلاد الصين — انه يتساءل كيف لعب دعاة الشيوعية على عقول الناس بالأقوال الجوفاء ، والوعود المعسولة؟ ثم يجيب اجابته الغبية فيقول — : ان الشيوعية كسبت الصين بالقوة بينما رسل المسيحية — يعنى رسل الاستعمار — لا يقبلون اللجوء الى المسائل العنيفة .

ان (أمريكا) — أيضا — تنفق مليارات الدولارات لكى يمد العلم المتمرد على السلام اقدامه فى الفضاء ، ويطأ من اجل اغراض الدعاية أو الأغراض العسكرية وجه القمر بينما الأرض ملأى أمام أعين (القديس سام) بملايين المرضى والجياع ..

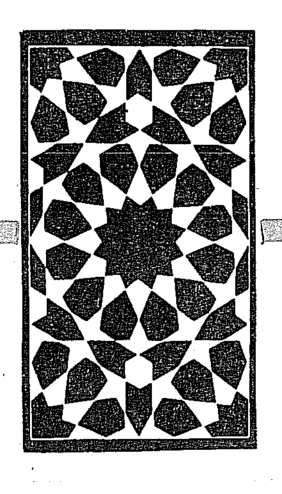
والعلم المتمرد ينفذ ببصره ويعبث بأصابعه فى معامله السرية يخطط لجريمة تصنيع الآدميين فى انابيب الاختبار ، فيحكم على انسانية الانسان بالموت من حيث يفصله فى المعمل عن كل ما هو طبيعى فى الحياة بينما هو يحشد فى نفس الوقت أسلحته الكيمائية والبيولوجية ، وخططه للتعقيم الجماعى من أجل ابادة الانسان الطبيعى عندما يكون ملونا » .

وهكذا العلم الذى هو الأمل اصبح مع تحديات الصهيونية والاستعمار هو المشكلة . وهذه هى قضية القضايا .

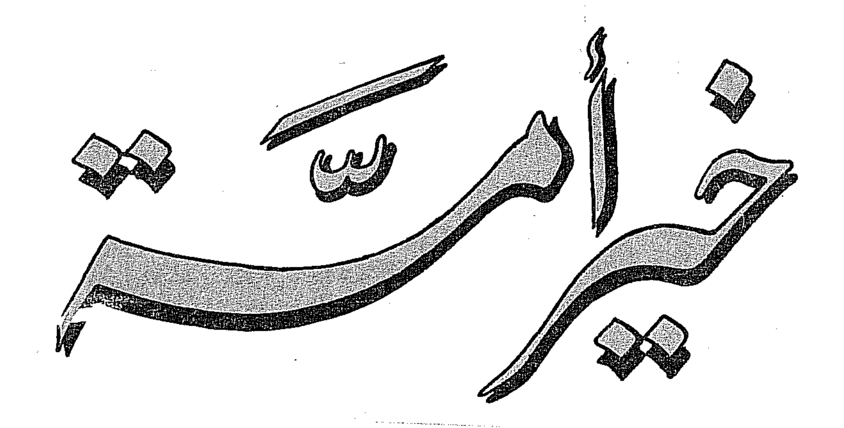
وعلينا نحن — العالم الاسلامى — آباء البشر فى التاريخ وأولياء أنفسنا فى الواقع ان نبحث هذه القضية من جذورها — نبحثها من البداية ونحن نتخذ الطريق الصحيح الى فهم واجبنا الدينى وتصور دورنا الانسانى فى أحياء الحياة لو استطعنا أن نشارك من خلال تجربتنا وأسلافنا فى تقييم العلم بالعلم الالهى من خلال رؤية صحيحة للدين الاسلامى ، اننا بهذا نحقق القوة الكاشفة فى داخلنا وخارجنا والتى مصدرها الايمان وأساسها العلم واطارها وغايتها الاسلام وحركتها وجهادها البناء والفداء نستطيع أن نعيش رغم تحديات العصر فى أنسجام معها وتعاطف وكشف ، وفوق ارادة أعداء الاسلام فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والانسانية دون قصور أو اهدار أو قلق .

نستطيع أن نبنى وأن نعيش حياتنا كاملة كما سلف فى تاريخنا الاجتماعى حيث يمكن ان تتساوى الوحدات البشرية اى الأفراد والمواطنون بمقادير وانواع العمل أمام الله ولصالح المجتمع حقا والتزاما حياة لا تتناقض فيها القوانين ، ولا تتصادم المصالح ، حياة لا يختلف فيها العقلى عن التجريبى ولا الدينى عن الدنيوى حياة هى الوجود الحق المترع بالأمن والحب والإخاء .

● موجز بحث مقدم من الاستاذ سفيان سالم دارمى لمجمع البحوث الاسلامية ..



من وحي ذكرى مولد الرسول



خير أمة

للدكتور / محمد الدسوقى

١ ـ اطبقت كلمة العلماء والباحثين على ان البشرية كانت قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم في حاجة ماسة الى من يأخذ بيدها الى سواء السبيل ، فقد ضلت طريقها الى الله ، واتخذت الأصنام والأوثان ـ على تعددها وتباينها ـ آلهة تؤمن بها وتعنو لها ، وعاشت حياة طابعها القهر والبغى والفساد ، لقد كان ظلام الجاهلية مطبقا ، شمل العقائد والاخلاق والعادات ، وران على الضمائر والمشاعر والعقول ، وجعل المجتمع الانسانى اشبه ما يكون بالقطيع فى الغابة تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقاته القوة الباغية ، وكان لا بد ان يشرق الفجر ليبدد الغياهب ويقضى على المفاسد ، ويرشد الضالين والحيارى الى طريق الحق والى صراط مستقيم .

٢ ــ وانبثق الفجر فى بطحاء مكة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مولده عليه السلام إرهاصا بنهاية ذلك العهد المظلم فى تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالوحدانية والحرية والعزة والكرامة والعدالة والفضيلة .

لقد بعث الله محمدا على راس الأربعين من عمره بدعوة الاسلام التى انقذت البشرية من دياجير الجاهلية ، ورسمت لها سبيل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

لقد حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار العبودية لغير الله ((وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله هو)) (١) ((إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق))(٢) .

وكما حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار الشرك والوثنية حررتها كذلك من إسار الطائفية والعنصرية ونظرية الدماء المقدسة ، فكانت اول صيحة عامة فى التاريخ ترسى مبادىء الأخوة والمساواة على اسس وطيدة من الإيمان .

٣ ــ ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات الإلهية جاءت دينا عاما للناس كافة ، كما جاءت صالحة للانسان فى كل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد امتن الله على المؤمنين بهذه الرسالة الخاتمة والدعوة العامة بان جعلهم خير امة اخرجت للناس ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، والذى يهدى للتى هى اقوم ، والذى يحقق للانسان ــ دون غيره من الكتب والنظم ــ الحياة الكريمة التى تليق بخلافة الانسان المقدسة لله فى الارض .

٤ ــ واستحفاظ الأمة الاسلامية على هذا الكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان يكون الكل شهداء عليه يعنى التزام هذه الأمة بكل ما جاء به القرآن الكريم التزاما صادقا ، وصياغة حياتها وفق توجيهاته وتعاليمه ، والعمل على إذاعة دعوته وإقامة شريعته بين الناس قاطبة ، وسبيل ذلك الحفاظ على أمانة الدعوة الى الخير والبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لتظل دائما كلمة الله هى العليا ، وتبقى القيادة دائما فى هذه الأرض للخير لا للشر(٣) . وهذا هو مناط الخيرية التى اسبغها الله على الأمة الاسلامية ولم يسبغها على امة سواها ((كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))(٤) .

٥ ــ على ان الخطاب فى هذه الآية الكريمة ليس خاصا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كما ذهب الى هذا بعض المفسرين(٥) ولكنه عام يشمل الأمة كلها بلا تفرقة بين قبيل وقبيل ، فكل مسلم مسئول عن امانة الدعوة الى الخير والبر ، وإن كان

لأهل الراى والخبرة والعلم والمعرفة دور بارز واثر واضح في القيام بها ، فضلا عن أنه لا بد من سلطة تمكن لهذه الأمانة وتذود عنها ، يشهد لهذا قوله تعالى : ((ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون))(٦) فالآية تقرر أنه لا بد من سلطة فى الارض تدعو الى الخير وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأنه إذا جاز أن يتولى الدعوة الى الخير غير ذى سلطان فإن الأمر والنهى لا يقوم بهما إلا ذو سلطان ، فهذا تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم وغرور بعضهم وكبريائهم ، وفى الناس من ينكر المعروف ويعرف المنكر ، ولا تفلح الأمة إلا ان يسود الخير وإلا ان يكون المعروف معروفا والمنكر منكرا ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير تامر وتنهى وتطاع(٧) .

٦ - ومما يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامي عن الدعوة الى الخير - فضلا عن السلطة التى تمكن لهذه الدعوة - ان القرآن الكريم جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين وبين أن هؤلاء يامرون بالمنكر والشر على حين يدعو اولئك الى الخير والبر ((والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعضهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم))(٨) ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله))(٩) . قال الإمام القرطبى تعليقا على الآيتين : ((فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على ان اخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وراسها الدعاء الى الإسلام والقتال عليه)) (١٠) ..

وقد روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال : من خير الناس ؟ قال : آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله ، واوصلهم لرحمه(١١) . ومن الأحاديث المعروفة في هذا الصدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطيع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان (١٢) .

والأحاديث النبوية كثيرة فى الحض على اداء هذه الأمانة والتحذير من التفريط فيها وعاقبة هذا التفريط ، كما أن هناك آيات عديدة - غير ما أوردته آنفا - جاء فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صفة للمؤمنين ، وهذا كله يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامى ((فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته)) ، ويشير الى ان هذا المجتمع يتميز دائما عن سواه من المجتمعات بهذه السمة الأساسية ، وهى العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الايمان بالله(١٣) .

٧ - واما قوله تعالى فى سورة المائدة : ((يايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم))(١٤) فإنه لا يدل على إعفاء المؤمنين من مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذلك أن معنى الضلال فى الآية ليس مجرد المعصية ولكنه الكفر ، لأن السياق يحتم ان يكون هذا هو المراد

بالضلال فيها(١٥) ، بالاضافة الى ما روى فى سبب نزولها(١٦) ، فالآية تقول : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » فهذه الآية وصف صريح للكفار الذين اصروا على ضلالهم وغيهم ، وهذا يقتضى أن يكون الذين ضلوا هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، لأن الكلام عنهم فى هذه الآية ، وقد جاءت بعدها تلك الآية ، لتامر المؤمنين أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح ، فيلزموها باداء ما امر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ثم تقرر لهم انهم لن يضيرهم كفر الكفار بشىء ما داموا هم قد اهتدوا ، فدعوا الكفار الى الإيمان وحذروهم مغبة كفرهم(١٧) .

ويبدو ان من الصحابة من فسر تلك الآية على غير الوجه الذى ينبغى ان تفسر به ، وظن انها ترخص للمؤمنين فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن ثم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : يايها الناس إنكم تقراون هذه الآية : « يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه — اوشك الله ان يعمهم بعقابه »(١٨) .

فالخليفة الأول فى هذه الخطبة القصيرة يشير الى ان هذه الآية لا تعفى المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن اهتداء المؤمنين يستلزم قيامهم بواجب نصرة الحق ومقاومة الباطل والشر ، وقد اكد هذه الحقيقة بما أورده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضاف به الى الآية دليلا آخر على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من طبيعة الإيمان ، لا يتسمح الإيمان بحال فى الزام المؤمنين بهما ، بل هو يتوعدهم جميعا على السكوت عن تغيير المنكر بعقاب الله ، لا يخص طائفة منهم دون طائفة . وقد لعن اليهود على السنة الرسل لعدم تغييرهم المنكر « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (١٩) ..

٨ — وإن مما ينبغى ان تدركه هذه الأمة دائما انها امة جعلها الله بما اسبغ عليها من نعم ، واختصها برسالته الخاتمة — فى مركز القيادة والمسئولية عن نفسها وغيرها ، فبيدها مشعل الخير ومنار الهداية ، ولهذا كان عليها أن تعطى دائما لغيرها لا أن تتلقى من سواها ، تعطى الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح(٢٠) ، يجب أن تكون الأمة الاسلامية قوة إيجابية فى مختلف مجالات الحياة ، تؤثر فى غيرها ولا تتاثر بسواها ، يجب أن تكون لها شخصيتها الفريدة التى تتسم بالايمان بالوحدانية والأخوة والمسئولية الفردية والجماعية ، هذا واجبها ورسالتها ولا وجود لها بين الأنام إلا إذا حافظت على هذه الرسالة وقامت بذلك الواجب وايقنت ان مركزها فى الطليعة يفرض عليها مسئوليات وتبعات وفى مقدمتها الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هى اهملت وتقاعست واخلدت الى الوهن ، فلا مكانة لها فى الصدارة والقيادة ، بل لا وجود لها فى الحياة .

قال الإمام القرطبى وهو يفسر قوله تعالى « تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » مدح لهذه الأمة ما اقاموا ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا التغيير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سببا لهلاكهم(٢١) .

٩ ــ إنها سنة الله بين عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ما من أمة يمكن الله لها فى الأرض فلا تبطرها النعمة ولا يستخفها شيطان الانس والجن ولا تحيد عن شرعة الحق والعدل ، ولا تتهاون فى الدعوة الى الخير ومقاومة الفساد والشر إلا أعزها الله وأدام عليها النعمة وكتب لها الغلبة وأيدها بنصره « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »(٢٢) .

وما من أمة يستشرى فيها الفساد ويتعاظم الباطل ويستأسد المنكر ، ويخنس الحق إلا أذلها الله وتخلى عنها ولم يستجب لدعائها ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىّ النبى صلى الله عليه وسلم فعرفت فى وجهه أن قد حضره شىء فتوضأ وما كلم أحدا ، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس : إن الله يقول لكم : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم » فما زاد عليهن حتى نزل(٢٣) .

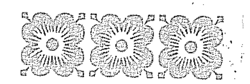
وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(٢٤) .
وفيما قصه الله علينا فى القرآن الكريم من شأن بنى اسرائيل خير عظة وتذكرة ، فقد وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى ، فلما نبهتهم علماؤهم لم ينتبهوا ، فجالس العلماء هؤلاء العصاة وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم ، وصدق الله العظيم « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٢٥) .

١٠ ــ وبعد فإن سنة الله بين عباده ماضية الى يوم القيامة ، والأمة الاسلامية إذا كانت خير أمة أخرجت للناس فإن هذه الخيرية منوطة بمسئولية الدعوة الى الحق والذود عنه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هى حافظت على هذه المسئولية وقامت بها على أحسن وجه ظلت أهلا لهذا الشرف الكريم والفضل العظيم ، وظلت لها مكانتها فى الريادة والقيادة ، وإن هى فرطت وأهملت أو حاربت المعروف وسالمت المنكر ذهبت عنها صفة الخيرية وأصبحت بلا وجود حقيقى فى الحياة ، لأنها فقدت أسباب قوتها وعزتها كما أشار الى هذا الإمام القرطبى .

والأمة الاسلامية اليوم لم ترع تلك المسئولية ــ أفرادا وجماعات ــ حق رعايتها لا نحو نفسها ولا نحو غيرها فكان ما نعانيه من التفرق والضعف وشيوع المنكرات ، واستعلاء من كان بالأمس خاضعا لنا « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٢٦) .

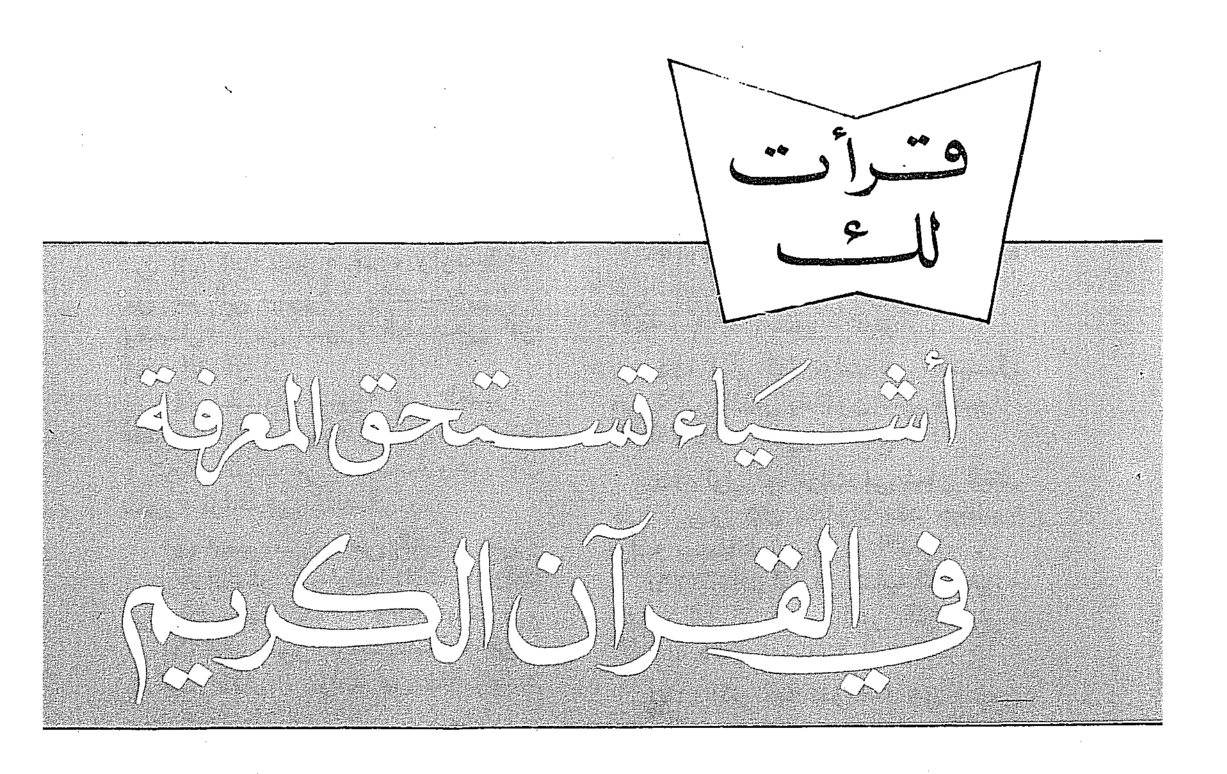
إن نصر الله لا يتنزل على عباده الذين ضيعوا وفرطوا ولم يعضوا بالنواجذ على كل ما يحفظ لهم الفضل والخير والقيادة والسيادة .

لقد أنزلنا الله منازل الهداة وكتب علينا أن نرفع لواء المعروف ، لنكون بحق خير أمة ، ووعدنا بالنصر ما دمنا نسير على درب الحق ، لا نخشى فى الله أحدا ، فلا خيرية بلا جهاد ضد الباطل والمنكر ، ولا نصر بلا إيمان يدفع الى بذل الأنفس والأموال وصدق الله العظيم ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين))(٢٧) .



---

(١) الآية ٣١ فى سورة التوبة .
(٢) الآية ٤ ، ٥ فى سورة الصافات .
(٣) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٣١ .
(٤) الآية ١١٠ فى سورة آل عمران .
(٥) أنظر الفخر الرازى هـ ٨ ص ١٩١ والبحر المحيط هـ ٣ ص ٢٨ .
(٦) الآية ١٠٤ فى سورة آل عمران .
(٧) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٢٦ .
(٨) الآية ٦٧ فى سورة التوبة .
(٩) الآية ٧١ فى سورة التوبة .
(١٠) تفسير القرطبى هـ ٤ ص ٤٧ .
(١١) المصدر السابق .
(١٢) الآية ١٠٥ .
(١٣) أنظر مقدمة كتاب دراسات فى التفسير للاستاذ الدكتور مصطفى زيد .
(١٤) مما روى فى سبب نزولها أن المؤمنين كانوا يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وأنهم كانوا اذا أسلم الرجل منهم قيل له : سفهت أباك ((من هدى السنة للاستاذ على حسب الله ، والاستاذ الدكتور مصطفى زيد . الحديث الرابع عشر)) .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) المصدر السابق .
(١٧) المصدر السابق ، ويتسمح بمعنى يتساهل .
(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .
(١٩) المائدة : ٧٩ .
(٢٠) فى ظلال القرآن هـ ٤ ص ٣١ .
(٢١) تفسير القرطبى هـ ٤ ص ١٧٣ .
(٢٢) الآية ٤١ فى سورة الحج .
(٢٣) قبسات من الرسول ص ٥٣ .
(٢٤) أخرجه الترمذى .
(٢٥) الآية ٧٨ ، ٧٩ فى سورة المائدة .
(٢٦) الآية ٤٠ فى سورة العنكبوت .
(٢٧) الآية ٤٧ فى سورة الروم .



للأستاذ محمد بلى الفوتى

القرآن الكريم ، هو كلام الله المعجز ، المنزل باللفظ العربى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، وهو آخر الكتب السماوية نزولا . وهو كتاب غنى عن التعريف لما له من الشهرة العالمية ما ليس لكتاب آخر ، وهو جامع لخيرى الدنيا والآخرة .

(١) يحتوى على مائة واربع عشرة سورة ، منها ست وثمانون سورة مكية ، وثمان وعشرون سورة مدنية، على ما ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٢) وعلى ثلاثين جزء ، كل جزء مقسوم على حزبين ، وكل حزب ينقسم على نصف ، وثلث ، وربع ، وخمس ، وسدس ، وسبع ، وثمن ، وتسع ، وعشر .

(٣) وجميع سور القرآن تنقسم على اربعة اقسام : الطوال ، وهى سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، وقيل هى يونس ، القسم الثانى : المئون ، وهى : السور التى لا تزيد آياتها على مائة ، أو تقاربها . الثالث ، وهى : التى تلى المئين فى عدد الآيات . سميت المثين لانها تثنى — اى تكرر اكثر مما تكرر الطوال والمئون . الرابع هو آخر القرآن . وأول سوره الحجرات الى آخر القرآن على قول الامام النووى ، ويسمى هذا القسم (المفصل) لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

والمفصل ينقسم ثلاثة اقسام : الطوال ، والأوساط ، والقصار . فطواله : من أول الحجرات الى

البروج ، واوسطه : من الطارق الى سورة البينة ، وقصاره من الزلزلة الى آخر الناس . وقيل : طواله : من (ق) الى سورة عم ، وأوسطه : من عم الى سورة (والضـحى) . وقصاره : من سورة الضـحى الى آخر القرآن .

(٤) أطـول سورة فى القـرآن الكريم ، هى سورة البقرة ، وآياتها (٢٨٦) نزلت فى المدينـة وهى أول سورة نزلت فى المدينة .

(٥) اقصر سورة فى القرآن هى : سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث ، نزلت فى مكة بعد سورة (والعاديات) .

(٦) أول سورة نزلت كاملة ، هى : يا أيها المدثر . نزلت فى مكة بعـد سورة المزمل .

(٧) اكثر سورة فيها ذكر اسم الله فى كل آية من آياتها هى : سـورة المجـادلة . وآياتها اثنتان وعشرون آية نزلت فى المدينة بعـد سـورة (المنافقون) .

آياتـه

(٨) يحتوى على ست آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، على حسب مـا ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٩) اول آيات نزلت من القرآن هى : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علمّ بالقـلم . علمّ الإنسان ما لم يعلم . سورة العلق .

(١٠) أطول آية فى القرآن هى : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمىً فاكتبوه .... الآية (٢٨٢) سورة البقرة .

(١١) اقصر آية فى القرآن الكريم هى : (طه) سورة طه ، مكية نزلت بعد سورة مريم .

(١٢) أول آية نزلت فى الأطعمـة هى : قل لا أجـد فيما أوحي الى محرما على طاعم . (١٤٥) الأنعام.

(١٣) أول آية نزلت فى الأشربة هى : يسألونك عن الخمر والميسر . . . الآية (٢١٩) سورة البقرة .

(١٤) اول آية نزلت فى القتـال هى : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . الآية (٣٩) سورة الحج .

(١٥) اول آية نزلت فى شأن القتل هى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنـا لوليه سلطانا (٣٣.) الاسراء .

(١٦) أعظم آية فى كتاب الله هى : الله لا إله الا هـو الحى القيـوم . الآية (٢٥٥) سورة البقرة .

(١٧) اكثر آية تفويضا هى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا . الآيـة (الثانية) سورة الطلاق .

(١٨) اشد آية رجاء هى : قل يا عبادي الذين اسرفوا . . . الآية (٥٣) سورة الزمر .

(١٩) اطمع آية فى القرآن هى : ايطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنة نعيم الآية (٣٨) المعارج .

(٢٠) اجمع آية للخير والشر ، وهى : أن الله يأمر بالعدل والاحسان . . . الآية (٩٥) سورة النحل .

(٢١) آية واحدة تجمع كل الحروف الهجائية هى : قوله تعالى : محمـد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم . . . الآية (٢٩) آخر سورة الفتح .

كلمـاته

(٢٢) يحتوى على سبع وسبعين الف ومائتين وخمسين كلمة على قول مجاهد .

(٢٣) اطول كلمة فى القرآن لفظـا وكتابة هى : فأسقيناكموه (الآيـة

٢٢) سورة الحجر ، وهى تتألف من احد عشر حرفا .

(٢٤) أول كلمة نزلت فى القرآن هى : (اقرأ) أول سورة العلق .

حـــروفه :

(٢٥) يحتوى على ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألف وثلاثمائة وسـبعة وتسعين حرفا (٣٩٧ر٣٢٣) . وقال عبد الله بن مسعود : (٦٧٠ر٣٢٢ حرفا) ، وقال عبد الله بن عباس إنها (١٠٥ر٣٢٣ حرفا) . والله أعلم بالصواب .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : (الم) حرف ولكن : ألف ، حرف ، ولام ، حرف ، وميم ، حرف . رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود ، مرفوعا .

انصـــافه :

(٢٦) نصف القرآن بالسور هو : آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

(٢٧) نصفه بالآيات هو : فالقى موسى عصـاه فاذا هى تلقف مـا يأفكون ، الآية (٤٥) الشعراء .

والآية التالية : فالقى السـحرة ساجدين . الآية (٤٦) من النصف الثانى .

(٢٨) نصـفه بالكلمـات هـو : (الجلود) فى قوله تعالى : يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، الآية (٢٠) سورة الحج . وقوله : (حديد) فى قوله : ولهم مقامع من حديد . الآية (٢١) سورة الحج من النصف الثانى.

(٢٩) نصفه بالحرف هو : (النون) فى : لقد جئت شيئا نكرا ، الآية (٧٤) سـورة الكهـف . و (الكاف) من النصف الثانى .

تاريخ نزول القرآن

(٢٢) ابتدأ نزول القرآن منجما فى ليلة اليوم السابع عشر من رمضان (وهى ليلة الجمعة للسنة الحـادية والأربعين من مولده صلى الله عليه وسلم ، حيث أوحى اليه بأول أمر من القرآن الكريم وهو : اقرأ باسم ربك الذى خلق . الى آخر ست آيات من سورة العلق ، وهو فى غار حراء يتحنث (يتبرر) .

وانتهى النزول فى مساء الجمعة ، تاسع ذى الحجة يوم عرفة ، للسنة العاشرة من الهجرة ، وللسنة الثالثة والستين من مولده ، وأوحى اليه آخر آية ، وهي : اليوم اكملت لكم دينكم. . (٣) المائدة .

وانزل عليه من القرآن وهو بمكة : ٨٦ سورة فى مدة اثنتى عشرة سنة وخمســة أشهر وثلاثة عشر يوما ، من ١٧ رمضان سنة (٤١) الى أول ربيــع الأول لأول ســنة (٥٤) من مولده . وكل ما نزل فيها فى هـذه المدة يقال له (مكى) .

ونزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة (٢٨) سورة فى مـدة تسع سنوات وتسعة أشهر ، وتسعة أيام ، من ربيع الأول لسنة (٥٤) الى تاسع ذى الحجة سنة (٦٣) من مولده ، للسنة العاشرة من الهجرة . وكل ما نزل فى هذه الفترة ، سـواء كان ذلك فى المدينة ، وفى مكة ، يقال له (مدنى) .

فالمـدة التى بين مبتـدأ التنزيل ومختتمه : اثنتان وعشرون سـنة وشهران واثنتان وعشرون يوما .

فسبحان الله العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .



من محاورات الشيطان : قصة من الأدب الديني ..

صراع في الظلام

للأستاذ محمد لبيب البوهى

فى إحدى الليالى .. وربما كنت متعبا .. تكاسلت عن صلاة المغرب .. ودخلت العشاء .. وظللت ساعة او زهاءها فى الظلام .. فلم اقم حتى لأضىء نور الغرفة فخيل إلى اننى اراه إلى جوارى . فهو ياتى فى مثل هـــذه الساعات والاحوال . فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ولكنه لم يتحـــرك ولم يذهب .. قلت عجبا .. الست انت الشيطان . ؟ قال : نعم إننى هو ..

قلت : ولكننى استعذت بالله منك لتذهب .

فاجاب : إن الاستعاذة لم تكن صادرة من قلبك ـــ مجرد كلمات رددهـــا لسانك على اطرافه ، حتى قلبك لم يكن حاضرا ـــ واما عزمك للخلاص منى فقد كان غائبا تماما ـــ إن الاستعاذة القوية التى يعنيها صاحبها هى ســـلاح لا اقوى على مواجهته .. ولكن هب ان معك مدفعا ذا طلقات معدة .. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك ..فوق جبل بعيدة ، ثم اعترضك فى الطريق قاتل فقلت له : اذهب والا ضربتك بالمدفع الذى هناك .. إن هذا لا يكـــون غير نوع من السخف .. وهكذا الامر بيننا إنك لم تكن جادا فى الاستعاذة ولذلك فإننى هنا .. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتى . إنها حقى .

ثم تمهل الملعون وقال : ولكن لماذا تريد أن تصرفنى ؟ .. إننى استطيع أن اسليك ما دمت متعبا متكاسلا عن الصلاة ..

قلت : فانت سعيد اذن بهـذه الفرصة .. ؟

قال : ساحاول أن أكون صادقا معك .. إننى أطلب اليك أن تزيح كلمة السعادة جانبا .. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتى منذ اجيال موغلة فى ظلمات القدم ـ منذ أخرجت آدم وأمكم من الجنة ..

قلت : فانت إذن تشعر بالندم .. !!؟

قال : وماذا يجدى الندم . إننى اشعر بالحقد والرغبة فى الانتقام .

إن عدوى الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات فتاب عليه .. لقد زاد ذلك الغفران من غيظى .. لقد أفلت الأب من براثنى فانا أزرع الألغام فى طرقات ابنائه .. إنها الغام قد تبدو فى صورة التحف .. إننى أبثها فى أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد . إن لذتى الكبرى حين أبصر أشلاء الذين تنسفهم الغام ملذاتى .. إنهم يسمعون ضحكاتى حين يتخبطون وهم يهوون إلى الأعماق السحيقة ..

قلت فى غيظ شديد : ألا يستطيع أحد أن يراك على حقيقتك ؟ فضحك المجرم الأبدى وأجاب : لا أعتقد انك تظننى ساذجا إلى هذا الحد .. !! ، إذا مررت بالحانات ، أو علب الليل ، أو كثير من دور اللهو الأسود . فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم فى تعاطف كاذب .. إننى سيد هـذه المواقف .. وهؤلاء الأخلاء همأعوانى .. إن بعضهم لبعض عدو فى صورة صديق وإننى لبارع فى إعداد هذه الصور فى أزياء شتى ، لقد يمضى وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته ، إن الخيانات الزوجية..وسرقات الأموال .

وما الى ذلك من الجرائم ، إنما تنشـا غالبا من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوائى .. إننى أرى أنك توشك أن تسألنى سؤالا عن أولئك الذين يتنكبون طريقى من الأتقياء ، إن هؤلاء لا يروننى لأننى لا استطيع أن أقترب منهم على الاطلاق الا فى مثل هذه الساعة التى أنت فيها الآن ..وأنت تعرف أننى بالمرصاد .. إن اللص الذى يريد أن يسرق دارا فيها جواهر ، فانه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزا فرصة يغيب عنها صاحبها فيسـطو على الغنيمة .. إن غنيمتى هى قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها .

قلت : وحين تفترس أحدا من بنى البشر .. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألغام التى تبثها فى الشهوات والملذات أتراك تنصرف عنهم بعد ذلك . ! ؟

قال بقوة : لو انصرفت عنهم لكان ذلك لونا من ألوان الرحمة . وذلك شىء لا أعرفه . إننى أنتظر هؤلاء فى ساعة الموت حين يكونون على أبواب الأبدية .. حين تبسط لهم الملائكة أيديهم قائلة : اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عـذاب الهون .. حين تحاول أرواحهم أن تغيب فى طيات الأجساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف .. إننى فى هذه اللحظات أكون واقفا عن بعد .. إنهم يروننى هازئا شامتا ضاحكا .. إنهم يروننى بقوة وأنا أزفهم إلى عرصات الجحيم ..

قلت فى أسى ووجيعة : يا لك من خسيس حقير . ترى هـــل تقف بك الشماتة بالمساكين من بنى البشر عند هـــذا الحد .. ؟

أجاب وقد تجهم وجهه واسود حتى صار فى لـــون القطران .. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون إنفاق فى الوجوه التى أمروا بها .. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس أو يكتفون بتهاوى الكـــلام .. وما ظنك بقاطعى الأرحام .. إن الغامى ليست كلها شهوات وملذات حسية .. إن الأشحاء تعود أرواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوراث بأموالهم ، ثم تلسعهم أموالهم بشواظ من نار .. وهؤلاء ليسوا أقل حظا من الآخرين ، ممن ذكـــرت أمرهم لك ، أو من الذين يتيهون على الارض مرحا .. أو الذين تمر الآيات مـــن آذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون أن تحرك قلبا أو تدعو الى ارادة السلوك والتطبيق .. إن فى سجلات حسابى الكثير وفوق الكثير .. وهؤلاء وهؤلاء يظل شبحى الأسود ماثلا أمامهم فى قبورهم .. إننى أتجرع وإياهم كؤوس الحسرات .. إننا من صنف واحد .. وقد اختار بعضنا بعضا فلا مفر من المصير .

قلت : سواء كنت تسمى هؤلاء أعداء لك أو أصدقاء فإن الأمر سيان لأن العواقب لا تختلف ، ولكننى أسالك هل ترصدهم عندك فى سجلاتك السوداء فى درجة سواء ؟

فاجاب معاتبا : كيف تظن هذا الهراء .. ؟ كيف تريدنى أن أسوى بين التافه الحقير الذى يختلس بعض المال أو ذلك الخنزير القذر الذى يخلو فى ظلمات العار والحرام بامرأة ما ، كيف أسوى بين هذا أو ذاك بذلك المتربع على عرش سلطة عظمى ويأمر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النســـاء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الإنتصار !؟ إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحى على حين أدفع الآخرين بأطراف أناملى ..

ثم استطرد اللعين وهو ينظر الى بعيد : ولكننى أقول لك حقا وصدقا ... إننى وضعت التـــاج على رأس ذلك الذى اخترع القنبلة الذرية .. إننا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع أن نفعل ما فعلتموه أنتم بانفسكم ..

قلت : أيها الكذوب لا تحاول أن تراوغ .. إنك أكبر عالم من علماء الشر الأسود .. إنت كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة ، انك أنت الـــذى أوحيت بها ووضعت أفكارها فى رؤوس هؤلاء ..

فاجاب فى تمعن : قد يكون الأمر كذلك على صورة ما .. ولكننى لا أفعل ذلك الا حين أجد استجابة فى القلوب .. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنسانى والتعاطف البشري فى قلب هؤلاء لما استمعوا الى وما فعلوه ..

ان الذى تعانون منه جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب .. بالحب قامت السموات والأرض .. إن ما تسمونه أنتم جاذبيـــة الكواكب لبعضها .. تلك الجاذبية التى تمنعها من التردى فى الفضاء .. هـــذه الجاذبية بين الجمادات .. بين ذرات الأحجار حتى تتماسك ، كل هذا يمكن أن تسميه حبا .. ان الكائنات والجمادات والاشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف أنتم فقط الذين تتغذون بالكراهية ، وإننى أنتظر الساعة التى أرث فيها وحدى

أرضكم .. ربما لا يمضى على ذلك وقت طويل .. إنكم تقتربون من ساعة الصفر .

قلت : إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طعما لذيذا فى الشص فما هو الطعم الذى ترى أكثر الناس يحبونه ؟

قال ضاحكا أنت كعادتك تريد أن تغوص إلى أعماق مهنتى .. لا بأس .. إن أعظم طعم يحبه الناس هو الغرور .. الغرور يجعلهم يغفلون عن حقيقة اللذات ... إنك تعرف أين تنتهى أعظم وجبات الطعام الشهى بعد ساعات من تناوله . ومع ذلك يرتكبون الجرائم فى سبيل المزيد مما يهيىء لهم ذلك .. وهم يرون مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا ، ويسمعون من التاريخ عن مصير أصحاب الصولجان .. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطريق ..إننى أزين لهم ذلك .. ان الكشف عن الحقيقة فى كل ذلك لا يحتاج الى ذكاء كبير .. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الابصار تستطيع أن تحجبها عن النظر بورقة صغيرة تضعها أمام العين .. إن الورقة التى فى يدى واضعها أمام عين الحقيقة هى الغرور .. إنهم بعد أن يذهبوا ويكشف عنهم الغطاءويصبح بصرهم حديدا .. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها .. هنالك يأكلون الاصابع ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن أبصرنا ..

.. أن التلميذ الصغير فى أى مدرسة هو أسعد حظا من الانسان فى الآخرة .. ان التلميذ اذا رسب فى امتحانه فأمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان مرة أخرى .. ولكنكم أنتم واأسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد .. إننى أحجبه عنكم بهذه الورقة التى حدثتك عنها .. إننى أسبب لكم الغيظ الأبدى .. إن ما يثلج صدرى هو انه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا .. لا فرصة أخرى لإصلاح ما مضى وفات ..

قلت : من الأمور التى لا لبس فيها أنك على صلة قوية بأولئك الذين يدعون انفسهم بالصهيونيين ويخيل لى أنهم أحباب لك وأنك تعتمد عليهم كثيرا . أليس الأمر كذلك تماما ؟

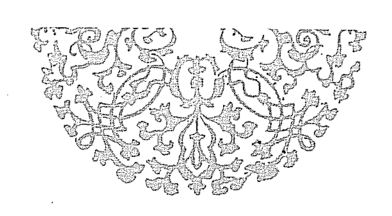
قال : هذا سؤال خبيث فانت تعلم جوابه .. وإنك لتدرك أنه ليس لى احباب على الاطلاق ، أما أن يكون هناك أعوان . فنعم .. وإننى لعلى صلة قوية بهم .. وسوف تظل هذه الصلة قائمة الى آخر الدهر ، إننى أنا وهم جميعا قد طردنا من ظلال الرحمة ، إن اللعنة قد حقت على كل منا ومنهم ، أعنى على الشياطين وعليهم ، فنحن إذن سواء ، وإننى لأزهو باننى أمليت عليهم دستورهم الاجرامى العظيم الذى يسمونه « بروتوكول حكماء صهيون » وإننى لأقرأ فى عينيك أنك تريد أن تسألنى سؤالا آخر فتقول : وماذا أمليت عليهم فى دستورهم ذاك يا ابليس .. ؟ حسنا .. ساجيبك على هذا السؤال الافتراضى الذى يدور فى خلدك .. لقد رسمت لهم من بعد موسى خط السير ليكونوا زعماء الفساد بشتى أنواعه ، أعنى الفساد الاجتماعى والاقتصادى والفساد السياسى والثقافى وما الى ذلك فى كل زمان وفى كل مكان يحلون فيه ، حتى ما يمكن أن تسميه بالفساد العقائدى ، إننى أنا الذى أمليت عليهم تلك الخرافات التى دسوها فى دينكم ليشغلوا العامة منكم بكل ما هو تافه وليصرفوهم عن كل ما هو جوهرى ونافع ، وإنك لتعلم أن عدد سكان عالمكم الأرضى الآن ثلاثة آلاف ومائتا مليون واليهود منهم نسبة ضئيلة مشتتة فى البقاع المختلفة ، إنهم ثلاثة عشر مليونا

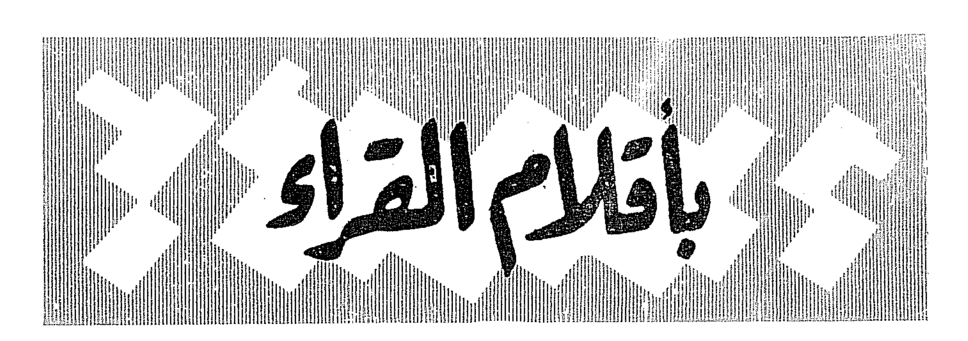
فحسب ، ان عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع ، ولذلك فهم يعتمدون على التسلل من وراء الأبواب التى نام عنها أصحابها ، أنهم أساتذة علم النفس فى اكثر جامعات الغرب ، ليدسوا من خلال هذا العلم بعض ما جاء في « بروتوكول حكماء صهيون » ، إنهم على سبيل المثال يمجدون فرويد اليهودي لأن نظريته تمجد الغريزة الجنسية ويجعلها أساسا لكل شيء وهم يريدون أن يغرقوا الآخرين جميعا في شئون الجنس ، أى يهبطوا بهم الى مستوى الدواب ، أعنى الى أسفل سافلين ، ولقد احتضنوا الفيلسوف الالماني نيتشة لأنه يرى الرحمة بالآخرين عيبا يجب الخلاص منه لقد سيطروا على عقولكم بفسادهم الثقافى انظر الى اكثر ما تقدمه دور السينما مما يكتب عليه للكبار فقط ، إنه من صنعهم وانت تعرف ماذا يقصد بهذا التخصيص .. انني لا أحبهم .. ولكنني فخور بهم .. وأبارك ثمار أعمالهم .. لقد كان هتلر يسوقهم الى المحارق ، ويرى أنهم وباء مستمر ، وانه لا خلاق لهم مع أصدقائهم أنهم هم الذين سيهبطون بامريكا الى الحضيض وان ما يسمى بازمة هبوط الدولار المجيد هو بطريق غير مباشر من الخضوع الامريكي لتدبيرهم انني أضرب هؤلاء بهؤلاء وفى النهاية وقد تكون قريبا سيلعن بعضهم بعضا وساقف من الطرفين ضاحكا شامتا .

قلت : اصدقني الجواب .. لماذا تكشف لي بعض أسرارك على هذه الصورة !؟ الا تخشى نشرها على الآخرين .. ؟ الا تخشى ان يعرفوك على حقيقتك .. ؟ فقال ضاحكا ساخرا : نعم .. صدقت فيما تذهب إليه .. انك تستطيع ان تنشر هذا عنى .. ولكننى اعلم من تجاربى انك سوف تنساه .. وسوف ينساه الآخرون .. ان مثل هذا كله كمثل الدخان فى الهواء .

.. هل تذكر ما يقال عن صاحبى جحا .. ؟ ، انه يقال أنه كانت له ساقية تدور وتدور ، وتئن وهي تحمل الماء من البحر ثم تعود لتصبه فى البحر من جديد ان التقوى من عمل الارادة وليست من مجرد ترديد الكلام .

ثم اردف اللئيم وهو يتهيا ليذوب فى ظلام الليل ، انما ابغى من وراء اخباركم بهذا ان تعلموا ليكون العذاب أشد وانكى ، إن ذلك القول وفى الأعم الأغلب لن يتحول الى عمل .. وإنك لتعلم أنه قد يغفر للجاهل اربعين مرة قبل ان يغفر لمن يعلم مرة واحدة .. من اجل هذا كشفت لك عن بعض أسرارى حتى ازداد تشفيا منكم يوم لا ينفع الندم هناك — اننى اعلم أن هناك صراعا ابديا بينى وبينكم ولكنه قلما يجدى — لأنه صراع يدور فى الظلام ..





للأستاذ : حسين مطر

حـــواء وقضيـــة الـــرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المرأة تساؤلات ومناقشـــات فهنـــاك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشـــجع ، واذا أردنا أن نحصر مواقف النـــاس حيـــال هـــذه المسأ لة نجدهـــــا تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

الاتجـــاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والاسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنهـــا جزء من الكرامة الذاتيـــة القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يأبهـــون بســـخرية الآخرين بل يمضون فى طريقهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئـــة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

الاتجـــاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكترثات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربيـــة كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وان كـــان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصموا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟

— أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟

— أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع أن يحيد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلـــة القاتلـــة ؟

واذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطـــار العربية والاسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :

١ ــ المجتمع أقوى من الفرد :

فالفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسايرته حتى ولو كان فى قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة اذا ما خالف الخط العام الذى ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزى الافرنجى يحرمه الدين الا أنها تصر على التمسك به لارضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين فهى على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بارضاء المجتمع .

وان محاولة الخروج على الخط العام الذى ينتهجه المجتمع اشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادى أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ ــ دور الفرد ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة اذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال فى المجتمع العربى فى الظروف الراهنة .

٣ ــ الدولة هى اداة لتنفيذ القانون . والقانون غايته حفظ النظام بين أفراد المجتمع بغض النظر عن اية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من اهــداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو الــذى يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعفى الدولة من أية مسئولية فى عمليــة إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمى وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال فى تشجيع عملية الاصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على اسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، اذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الاصلاح ، ولكن الدور الرئيسى فى هذه العملية يبقى فى يد المجتمع نفسه ، أما اذا اقحمت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة فى المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية فى حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الاقحام فشله ، وخير مثل نستشهد به هو اصــدار الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذى يحدث اليوم فى الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الاصلاح اقحمت على المجتمع مــن سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك ان عمليــة تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذى يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمى تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالى : ما الذى يؤثر فى المجتمع ، ويشكل القيم التى تحكم سلوك أفراده ونظرتهم الى الحياة والتى على أساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟ .

فى الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا فى بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت أشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتتحكم فى نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالاضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر فى تشكيل الرأى العام وتوجيهه وارساء قواعد القيم التى يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة أساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقية رجال الثقافة والفكر خاصـــة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر فى حمل رسالة التغيير والمتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع أهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئـــة من المجتمع بقوله : (العلماء ورثة الأنبياء) وتبرز أهمية الدولة فى هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق أجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبيـــة والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، واحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التى تنشأ وتتبلور فى القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تتويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

واذا نظرنا فى مسألة الأزياء فى مجتمعنا العربى والاسلامى نجد أنها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهى مسألة التخلف الثقافى الذى ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربى خاصة إبان الحكم العثمانى الذى أطلق عليه فى الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا فحسب بل ثقافيا واداريا أيضا .. ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل فى ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا فى تلك القوانين التى ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية ــ الامريكية ممثلة فى الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية ..

واذا نظرنا للاستقلال الحقيقى الذى تحرزه أى أمة نجده يتمثل فى الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والاستقلال الثقافى ، واذا لم يتبع الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى وثقافى فانه بمرور الوقت الى استقلال شكلى محض خال من أية معنى ، وأن الشرق العربى حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسى ، فالانسان العربى لا يزال انسانا مستهلكا أكثر منه انسانا منتجا هذا بالاضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربى ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل فى الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم فى كل شىء ، وأننا متخلفون فى كل شىء ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الغث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحى المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحى الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضافر الطبيعى مع غيرها من أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى السائد فى الظرف الراهن اصبحت تشكل مركز القوة فى قيادة الرأى العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريعها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتمائه للثقافة الغربية ومحاكاتها ، ويهمل تراثه الثقافى المحلى بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار فى أغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التى نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما فى ذلك شتى الطرق من أفلام سينمائية وسلع كماليـــة ومراكـــز الاستعلامات والمعاهد الثقافية ــ دورا فعالا فى نشر ثقافته وأسلوب حياتـــه واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله !

وفى عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التى تدعمها المجـــلات المتخصصة فى هذا الشأن تقوم بدور فعال فى الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصمموها فى باريس وروما ولندن ونيويورك . واذا امعنا النظر فى اسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد انها تتبع أسلوبا فى تعرية جسد المرأة شيئا فشيئا ، وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على اسلوب الحضارة الغربية الذى يقوم أساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك اسباب حضارية يطول شرحها ..

واذا كان مصممو الأزياء فى بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدى » و « الماكسى » والبنطلونات العريضة ، فان ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا فى اسلوبهم ، بل إنه فى الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف الى تغيير أمزجتهم التى اصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستثارة التى أحدثتها تقليعة « المينى جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بما أسموه « الشورت الساخن » إمعانا فى الإثارة الجنسية الصارخة !!

وانه لمن المضحك والمؤسف فى الوقت نفسه أن حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » واذا بها تغدو دمية فى أيديهم يعبثون بها كيفما شاءوا ، فلو فرضنا على سبيل المثال أن فتاة تجرأت ولبست رداء يشبه (الماكسى) أو (الميدى) قبل أن يصرح (سلوك الموضة) بتداوله لوصمها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود .. الى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية .. ولكن عندما صدر الإذن من (أصحاب الجلالة) الى حواء اذا بها لا تجد غضاضة فى ارتداء (الماكسى) بل اقبلت عليه بنفس الحماس الذى اقبلت فيه على ارتداء (المينى جيب) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع !

واذا كان البعض يرى أن ارتداء الملابس الافرنجية للمرأة يضفى عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وان ابراز مفاتنها يغذى الجمال فاننا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الانسان ملاكا أى روحا فقط ، ولكن الانسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . أى أن جمال المرأة ، واظهار مفاتنها يرتبط عادة باستثارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وانسانية .

هذا وأن مظهر الانسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتنها إنما يؤثر أبلغ التأثير فى التكوين الداخلى لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها الى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هيبة ورزانة ووقارا ، ويضفى عليها جمالا روحيا أساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فانه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص أنوثتها خاصة حياءها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التى تلحق بالانسان بصفة عامة من انحطاط فى النتاج الفكرى والوجدانى ، وتجعل الحياة الانسانية تهوى الى الحضيض .

واذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد أن للأشجار أوراقا تكسوها وللطيور ريشها وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الانسان ؟ إن للانسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضفى عليه مظهرا لائقا ، فاذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الانسان بدون رداء لائق يستره ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم آياته :

« يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » — سورة الاعراف الآية ٢٦ — .



حرمة بيع الأراضى العربية لليهود

السؤال :

رجل مسلم يملك قطعة أرض فضـــاء داخل البلدة التى يقطنها ، طمع يهودى فى شرائها ليقيم عليها دارا للسينما تدر عليه ربحا وفيرا ، فهل يجوز له بيعها .. ؟

رفع هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى جمهورية مصر العربية الأسبق وقد أجاب عليه بما يلى :

الاجابة :

ان السياسة اليهودية ــ فى انحاء العالم بلا مراء ــ تقوم على انتزاع البلاد العربية من اهلها واجلائهم عنها بطريق التملك الفردى ، فيتقدم اليهودى الى العربى لشراء عقاره بثمن يغريه ، فيقع فى الشرك ويتمم الصـفقة ، ثم يتقدم يهودى آخر الى مالك آخر عربى بمثل ذلك ، حتى إذا أحاطوا بالقرية ، ورســـخت أقدامهم فيها ، وكثر عديدهم بها ، ارغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية ..

وهكذا ينتقلون من قرية الى أخرى حتى تسلم البلاد لهم فيمسى اهلهـــا العرب ، وقد جردوا من أملاكهم وحرموا من اقواتهم ، واجلوا عن أوطانهم ، وشردوا فى الآفاق عشرات الآلاف شر مشرد يعانون الجوع والعرى والفاقة ، ويشربون كأس الذل دهاقا .

فعل اليهود ذلك فى فلسطين ، ويرومون تنفيذ هذه السياسة فى غيرها من البلاد العربية الاسلامية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فى ضعة ومذلة ، وسكون ومسكنة حتى اذا تم لهم الأمر ، ولو بعد سنين لبسوا جلود النمور ، وكشروا عن أنياب الشر والانتقام ، وأحالوها فلسطين أخرى .

وقد أعدوا العدة لذلك ، ونحن اغفال نيام ننخدع بمســـكنتهم ، ونغتر بظواهر أحوالهم ، ونظن أنهم قلة لا يقدرون على كيد ، والله يعلم والتاريخ يشهد أن يهود العالم عصبة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ، وينفذون كل ما ترسمه قياداتهم العامة فى الوطن الذى يعيشون فيه ، ويقتاتون منه ، مهما أضر ذلك بأهل الوطن تلك هى نتيجة بيع الأراضى العربية لليهود .

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة باجلى برهان يجب أن يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودى مهما أغراه الثمن ، وإلا كان بهذا البيع معينا لألد عدو على ضياع بلاد الاسلام وتمكين ابغض عباد الله الى الله من التحكم فى ديار المسلمين ورقابهم وأموالهم وأعراضهم بابشع صور وادنئها ،

ان كل ربح ينـــاله اليهودى فى بلادنا قوة له وعدة ، واذا كان على كل يهودى فى العالم قسط من المال يؤديه لاسرائيل لاعزازها وتمكينها من القضاء على العروبة والاسلام لا فى فلسطين وحدها ، بل فيها وفى ســائر الأقطار الاســـلامية ، وجب الا يمكن من ربح يربحه ببيع أو شراء وإلا كان ذلك وبالا ومضرة بالمسلمين .

اليهودى يحرم على نفسه ان يسدى النصح لمسلم بما ينفعه فى دنياه ، وان يدع مسلما ينعم بخير دون أن ينغص عيشه ، ويمتص دمه ، ويستنزف ماله ، ومن اجل ذلك اشاعوا الربا بين المسلمين ، وقد حرصوا عليه ، وقد نهوا عنه كما أخبر الله تعــالى بقوله : « واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل » .وقوله تعالى : « اكالون للسحت » .

واليهودى يحرم على نفسه أن يبيع عربيا أو مســلما شبرا من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن فما بالنا قد عميت ابصارنا عن هذه الحقـــائق ، وصمت آذاننا عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكرة فى ديارنا ، وافسحنا لهم مكان الصدارة فى اقتصادياتنا ، وتركناهم يتحكمون فى تجاراتنا واسواقنا ، وهم الد اعدائنا،كما قال تعالى : « لتجدن اشد النــاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » .

لا تبيعوا لهم أيها المسلمون شــيئا من أملاككم مهما بذلوا من ثمن ، واحذروهم فى دياركم فانهم أول الناس حربا عليكم وخيانة لكم ، واعلموا ان البيع لهم معصية لله لما فيه من التقوية والتمكين لهم فى الأرض ، وذلك يسبب خطرا عظيما لجماعة المســلمين ، وقد حرم بعض الأئمة كل بيع أعان على معصية ، وكذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرا ، فعن ابى هريرة عند أبى داود وعن ابن عباس عند ابن حبان وعن ابن مســعود عند الحاكم وعن بريدة عند الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن أحمد بن أبى خيثمة بلفظ « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى ، أو من يتخذه خمرا فقد تقحم النار على بصيرة » حسنه الحافظ فى بلوغ المرام واستدل به فى المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية ا هـ . من نيل الأوطار للشوكانى .

ومن هذا يعلم السائل وغيره انه لا يجوز بيع ارضه لليهودى لأنه مظنة الاضرار بجماعة المسلمين عامة ، وقد علمت أن اليهود عصبة واحدة ، وأنهم جميعا صهيونيون يدينون لاسرائيل ، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل فى أقل الأشياء واحقرها فضلا عن اكثرها واعظمها .

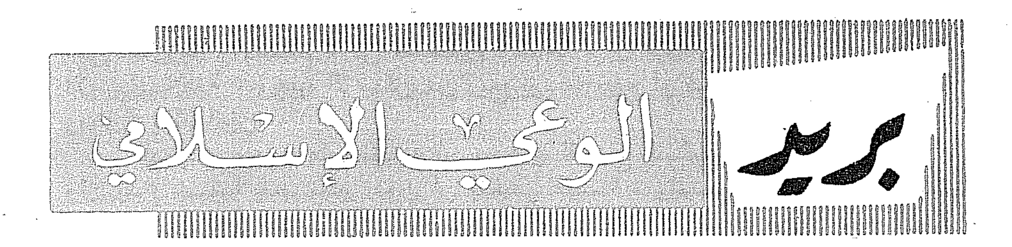
التعويض ميراث

السؤال :

يعمل زوجى كهربائيا فى احدى الشركات ، وقد صعقه التيار اثناء قيامه بعمله ، ودفعت الشركة لنا تعويضـا ، فهل يقسم التعويض بين الورثة ، أو تختص به الزوجة علما باننى لم أنجب منه .. ؟

الاجابة :

مبلغ التعويض حكمه حكم الدية ، فيقسم قسمة الميراث بين سائر الورثة .



اعداد : عبد الحميد رياض

جمع القرآن الكريم ودوافعه

☐ **جمع القرآن فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخليفتين ابى بكر الصديق وعثمان بن عفان .**

١١٢

فما الفرق بين مرات الجمع فى العصور الثلاثة وما هى الدوافع ..؟

مصطفى الموسوى ــ بغداد

*** ***

كان القرآن قد حظى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاهتمام الكبير ، فبجانب حرص الرسول على جمعه فى القلوب والصدور جريا على ما الفه العرب إذ كانوا يعتمدون فى تسجيل احداثهم واشعارهم على صدورهم عنى الرسول بكتابته ، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة ، ولقد اتخذ الرسول كتابا للوحى يدونون كل شىء ينزل من القرآن الكريم ، وكان كتاب الوحى من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويكتبون على العسف ، واللخاف ، والرقاع ، والعظام ، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه ظل منثورا طوال العهد النبوى الشريف .

ثم آلت الخلافة الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد واجه الخليفة الأول عدة مشاكل فى بداية توليه ، منها موقعة اليمامة إذ دارت فيها الحرب بين المسلمين وأهل الردة من اتباع مسيلمة الكذاب ، واستشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن ، فعز ذلك على المسلمين ، ودخل عمر على الخليفة ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ والقراء ، وبعد تردد قبل الخليفة الفكرة ، وشرح الله صدره لها ، واختار رجلا من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت رضى الله عنه فلم يكتف بما حفظ فى قلبه ، بل جعل يتتبع ما كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان محفوظا فى صدور الرجال .

وتم الجمع فى صحف لاقت ما تستحقه من عناية فائقة ، وحفظها أبو بكر عنده ، ثم حفظها عمر ، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر حتى طلبها سيدنا عثمان .

وقد كان الغرض من الجمع فى عهد أبى بكر نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات خشية ذهاب شىء منه بموت حملته وحفاظه .

وفى عصر سيدنا عثمان تفرق الصحابة من الحفظة فى الأمصار وساحوا فى الأقطار ، وظهرت أجيال هى فى أمس الحاجة الى دراسة القرآن ، وخصوصا أنه قد طال عهد الناس بالرسول وزمن نزول القرآن ، وبدأ كل إقليم يقرأ بقراءة الصحابى الذى بينهم ، فقرأ أهل الشام بقراءة أبى بن كعب ، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وآخرون قرأوا لأبى موسى الأشعرى ، وقد كان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة ، وتبعا لهذا فتح باب الشقاق والنزاع حول طريقة قراءة القرآن ، لعدم وجود الرسول بينهم يرجعون اليه ، ويصدرون جميعا عن رأيه ، وكادت تكون فتنة لا تقف عند حد .

أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال : لما كانت خلافة عثمان بن عفان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا » .

لهذه الأسباب رأى سيدنا عثمان بثاقب فكره أن يتدارك الأمر ، فجمع الصحابة وذوى الرأى منهم ، فأجمعوا أمرهم على كتابة المصحف ، وحرق ما عداه ، ووزع على الأمصار ، وكانت الكتابة عبارة عن نقل ما فى الصحف المجمع على صحتها الى مصحف واحد ، والغرض قطع الطريق على الفتنة قبل أن يشتد أمرها ، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل .

تعظيم المسلمين للحجر الأسود

□ لماذا يعظم المسلمون الحجر الأسود دون غيره من الحجارة ..؟

محمد حسن معارك — اربد — الاردن

رويت عن الحجر الأسود روايات متعددة فى سبب تعظيم واهتمام المسلمين به على مر العصور ، ولقد حظى الحجر الأسود بهذه المكانة فى نفوس الناس لاهتمام الرسول به ، فقد حرص على تقبيله واستلامه عند الطواف ، وظلت هذه ملازمة للحاج إذ يبدأ الطواف منه ، ويكبر عندما يحازيه ، واهتمام الناس به حتى قبل الاسلام كان كبيرا ، فقد روى أن قريشا هدمت الكعبة ، وأعادت بناءها ، واختلفوا فيمن يرفع الحجر الأسود الى مكانه من البناء الجديد ، وقد هداهم

تفكيرهم الى ترك الفصل فى هذا الأمر لأول قادم عليهم ، وكان سيدنا محمد أول قادم وذلك قبل البعثة .

ثم جاء الاسلام فأعطى له هذه المكانة التى تحدثت عنها الروايات ، ومنها ما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه : ((**حدثنا سعيد بن أبى مريم — قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن أما والله إنى لأعلم أنك حجـــر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك**)) .

وعن ابن عمر قال : ((**استقبل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا**)) وعن الزبير بن عربى قال : ((**سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت أرأيت إن زحمت أرأيت ان غلبت قال اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله**)) .

وعليه فقد وضح ما للحجر الأسود من اثر عظيم فى نفوس المسلمين ..

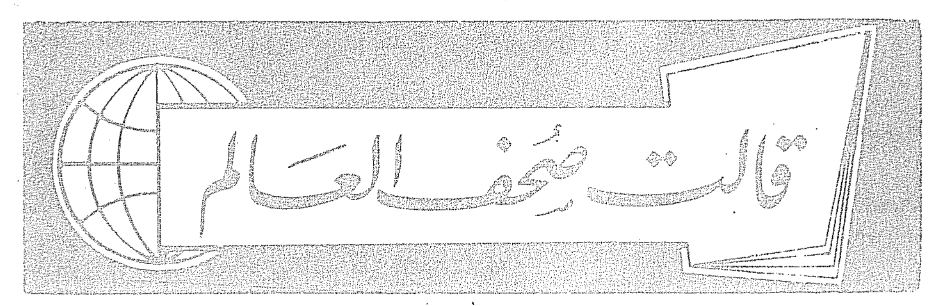
جزر البحر الأحمر

☐ **كم جزيرة فى البحر الأحمر ، وما اهمية هذه الجزر من الناحية العسكرية ؟**

ابو الوليد الحساوى — الاحساء

يطل على البحر الأحمر ست دول عربيـــة هى اليمن الجنوبيـــة ، اليمـــن الشمالية والسودان والســـعودية والأردن ومصر ، وينتشر على صفحة البحر الأحمر حوالى ثمانين جزيرة بعضها تابع للصـــومال ، وبعضها تابع لأثيوبيا ، وبعضها يتبع السعودية واليمن الجنوبية والشمالية ، وأهم هذه الجزر (بريم) اليمنية وموقعها استراتيجى هام ، فهى تقع فى وسط باب المندب ويمكن بواسطتها التحكم فى الدخول والخروج الى البحر الأحمر .

وتتجه الأطماع الصهيونية الى الاستيلاء على عدد من هذه الجزر ، وواجب الدول العربيـــة أن تتنبه لهذا الخطر بالسيطرة الفعلية العسكرية عليها قبل أن يسبق العدو الى احتلالها .



الاسلام بنفسه لا بأتباعــــه

ان ضعف المســـلمين وهوانهم ، وذلهم وخذلانهم ، يعود الى انحرافهم عن الدين لا الى تمسكهم به ، وما أصابهم من هزيمة نتيجة لهذا دليل على صدقه ، وتاييد لكتابه ، فطالمـا حذرهم عاقبة تفريطهم ، وانذرهم مغبة معاصيهم ، لكنهم لم يصغوا اليه ، ولم يستمعوا له . فاستأهلوا غضب الله وعقابه ، واستحقوا مقته وعذابه ، والكفار قد يسلطهم الله على المؤمنين تاديبا لهم ، لانهم احق بان يذعنوا له ، ولا عذر لهم اذا عصوا ربهم ، وخالفوا كتـــابهم بعد أن علموا منه أن المعاصى تجر الى اوخم العواقب .

ويعجبنى هنا قول عمر فى نصيحة ساقها الى سعد ابن أبى وقاص « أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعـــاصى من عدوكم فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم .

وانما ينصر المســلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والا ننصر بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاســتحيوا منهم ولا تكونوا عصاة الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل — لما علموا بمســاخط الله — كفار المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » . واسألوا الله العون على انفسكم كما تســألونه النصر على عدوكم .

ويعجبنى قول الهرمزان لعمر مبينا سر انتصار الفرس على العرب فى الجاهلية ، وسر انتصار العرب على الفرس فى الاسلام — انا كنا واياكم فى الجاهلية — كان الله قد خلى بيننــا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان معكم — فى الاسلام غلبتمونا .

والقرآن سبق الى تقرير هذه الحقيقة حيث يقول — « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

والاحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى أيضا ، قال صلى الله عليه وسلم : « توشك الأمم ان تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غثاء السـيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهـــابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت . (أخرجه أبو داود عن ثوبان) .

وفى الموطا عن مالك أنه بلغه أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، اذا كثر الخبث .

وفى سنن الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى

بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقـــابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .

هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد بأن المعاصى شؤم على أصحابها وعلى من يرضى بها وتشعر بأنها تحرم المؤمنين من عون الله فيدعهم وأنفسهم ويســلط عليهم عدوهم حتى يضطر الى اللجوء اليه ، ويحملهم على الاستعانة به .

ويدفعهم الى الوقوف ببابه وتنفيذ وصايا كتابه ، ومن لطف الله أن يسوق اليهم من يؤدبهم لئلا يستمروا فى غفلتهم ، وليحملهم بعد أن يلمسوا أثر معاصيهم على أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها ، ويقبلوا على تعاليمهم ، ويستمسكوا بمبادىء دينهم حقا أن كثيرا من المسلمين قد أساءوا الى الدين ، وشوهوا صورته ، فغطت مساوئهم على محاسن الاسلام ، وحجبت عيوبهم مزاياه وفضائله . وظن الجاهلون بحقيقته أن ما عليه المسلمون من فساد وفوضى واضطراب هو بسبب ضعف المسلمين ، وسر نكستهم والحائل دون نهضتهم ، ومن أجل ذلك قال جمال الدين الافغانى :

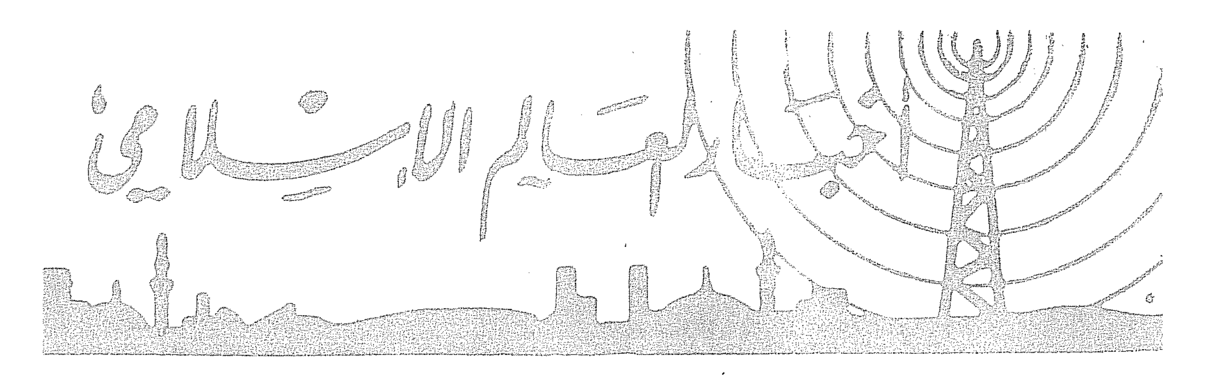
((اذا أردنا أن ندعو أحرار أوروبا الى ديننا وجب علينا أن نقنعهم أولا باننا لسنا مسلمين فانهم ينظرون الينا من خلال القرآن الكريم — ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما فيرون وراءه أقواما فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل .. فيقولون — لو كان هذا الكتاب حقا مصــلحا ما كان اتباعه كما نرى)) .

عن مجلة التضامن الاسلامى المصورة

مشــكلتنا الحضــارية

ان الرجل الذى يعيش فى بلد متخلف لا يدرك بسبب عقدة تخلفه أن المسافة التى بينه وبين من يعيش فى بلد متقدم يمكن أن تقاس بالافكار اى انه يعتقد أن تخلفه متمثل فى نقص ما لديه من بنوك ومدافع وعمارات . وبعبارة أخرى يرجع سبب التخلف الى نقص الاشــياء لا الافكار ولهذا يحاول تعويض هذا النقص بأى وسيلة ومن أى طريق فتكون تلك المظاهر الساذجة لمســاعيه واهتماماته ، وتلك الصور المظلمة لأفكاره وتصوراته .. فالتكديس كما يكون فى الاشياء يكون فى الافكار ولعله هنا أخطر وأدعى للأسف لأن تاثيره فى المجتمع أعمق وانتشاره بين المتعلمين أوسع ، وكما نجد من مظاهره ونتائجه هناك تلك العقلية التى تريد أن تستورده حتى برودة الطقس نجد من مظاهره ونتائجه هنا عقلية تقلد الآخرين حتى فى اسدال الشعور والمبيت فى العراء وبين هذه وتلك تختلف النماذج وتتعدد الصور باختلاف التربية والثقافة والمحيط الاجتماعى .. فمن قائل إن الحضارة تكمن فى اختلاط الجنسين وكفى .. وآخر يظنها كلمات أجنبية يرطن بها كالأعجمى بمناسبة وبغير مناسبة وشعارات وهتافات يرددها أو يطلقها فى هماس أحمق يدعو الى الضحك والبـكاء معا .. الى ثالث يرى أن السبيل الوحيد للنهضة هو تحرير المرأة من أنوثتها وثيابها وتحرير الرجل من رجولته وأخلاقه ، الى رابع يقاتل على مخلفات القرن الثامن والتاسع عشر من سقيم النظريات وشطحات الفكر زاعما أنه تقدمى يهاجم الماضى وآثاره فى انفعال مجنون ينسى معه أن أفكاره هو بل ألفاظه نفسها متخلفة نصف قرن على الاقل الى خامس لا يرى من النهضة غير مظاهر الانحراف فى بعض المجتمعات وبدل أن يدعو الى اقتباس الصالح دون سواه تراه مصرا على نقل كل ما هو فاسد مضر وكأنه لا يعرف شيئا جديرا بالاهتمام غيره وما ظواهر التخنفس والتخنث والتقاتل على مخلفات القرون ونفايات الأفكار الا مظاهر لاستجابات غير واعية لمتطلبات الظروف التى تعيشها أمتنا ، وتعبيرات عملية عن مشاعر القلق ونتائج الفراغ وسوء التربية فى البيوت والمدارس وليس من قصــدى هنا أن أهين أولئك أو ألوم هؤلاء فالذنب ليس ذنبهم وحدهم وانما يقع على جميع فئات المجتمع ، بل انى أرى أن الاثر من أولئك جميعا ذلك الصنف الذى لا يرى شيئا ولا يفهم شيئا ولا يبحث عن شىء بل هو يعادى أولئك الذين يفكرون ويبحثون فهو فى الحقيقة مشلول التفكير معطل الحواس يعيش عالة على المجتمع وعلى التاريخ .

عن مجلة جوهر الاسلام التونسية



اعداد : فهمي الإمـام







الكـويت :

○ كان للمبادرات التى قام بها سمو الأمير المعظم لتطويق الأحداث فى لبنان اثر فعال فى تهدئة الخواطر وحل الأزمة .

○ زار البلاد السيد حمدى ولد مكناس وزير خارجية جمهورية موريتانيا الاسلامية ، ويرى فى الصورة سمو أمير البلاد المعظم وهو يستقبل الضيف الكريم فى قصر السيف العامر .

○ استقبل سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى مكتبه مولاى عبد الله الممثل الشخصى لجلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية الذى زار البلاد فى الشهر الماضى .

○ قام وزير الحربية المصرى الفريق اول احمد اسماعيل على بزيارة البلاد ، وقد استقبله سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح فى مكتبه بوزارة الدفاع .

○ تلقى سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية دعوة لزيارة كل من الجزائر والمغرب والأردن .

○ أوقفت الحكومة ضخ النفط لمدة ساعة يوم ١٩٧٣/٥/١٥ بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين تعبيرا عن الرفض العربى لوجود الكيان الاسرائيلى فى فلسطين .

○ استقبلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية وفدا سودانيا برياسة الشيخ عوض الله صالح

مفتى السودان ، والوفد يقوم بجولة فى الخليج العربى بغية الحصول على مساعدات لانشاء المركز الاسلامى فى السودان .

○ قام وفد من مسلمى استراليا بزيارة البلاد ، وبحث مع المسئولين أوضاع المسلمين فى أستراليا ، وتنشيط الحركة الاسلامية فى القارة الاسترالية .

○ زار الكويت تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الاسلامى ضمن جولة يقوم بها فى عدد من الأقطار العربية .. والغرض من الزيارة البحث فى موضوع تأسيس بنك اسلامى كان قد تم الاتفاق بشأنه فى المؤتمر الاسلامى الأخير .

القاهرة :

○ زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية ، واجتمع الى الرئيس أنور السادات وتدارسا الموقف الراهن وأزمة الشرق الأوسط .

○ تلقى الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر طلبات من السعودية والكويت ودول الخليج لايفاد ٥٠٠ من خريجات كلية البنات بجامعة الأزهر للعمل بالتدريس فى هذه الدول .

○ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بتنفيذ أكبر مشروع لاحياء التراث الاسلامى وذلك بالاعداد على مدى ثلاث سنوات قادمة لنشر نحو الف كتاب من أمهات كتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه واللغة العربية والتصوف الاسلامى .

السعودية :

○ حذر وزير البترول السعودى الولايات المتحدة من أن بلاده لن تزيد انتاجها الحالى من النفط ما لم تبدل واشنطن موقفها المؤيد لاسرائيل .

لبنان :

○ وقعت فى لبنان أحداث دموية مؤسفة بين الجيش اللبنانى والفدائيين الفلسطينيين وتدخل الوسطاء العرب لانهاء الأزمة .

العراق :

○ ستنشأ فى بغداد دار لحفظ المخطوطات .. وهى أول دار من نوعها فى العراق والوطن العربى .

قطر :

○ ساهمت قطر بجزء من المساعدات المالية العربية لسوريا فى نضالها ضد اسرائيل .

ابو ظبى :

○ أعلن الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة أن على الدول التى تشترى النفط العربى أن تؤيد العرب فى قضاياهم الوطنية أو تتخذ موقف اللامنحاز .

فلسطين المحتلة :

○ أقامت اسرائيل عرضا عسكريا فى مدينة القدس بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصابها فلسطين بالرغم من استنكار العالم لذلك .

○ تلقت اسرائيل ما يزيد على (٨٥٢٥) مليار دولار أمريكى خلال العشرين سنة الأولى من انشائها ..

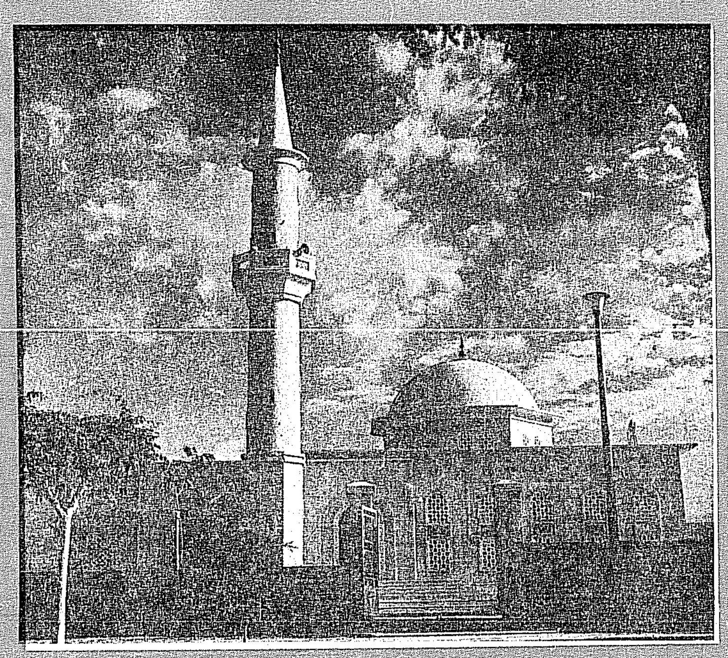
ليبيا :

○ أخطر الرئيس القذافى رؤساء الدول الافريقية بأن ليبيا ستقاطع اجتماع القمة وتطلب نقل مقر منظمة الوحدة الافريقية الى القاهرة ما لم تحدد الدول الافريقية موقفها من اسرائيل .

○ عاد الى روما ٩٠٠ ايطالى من ليبيا لعدم حيازتهم على جوازات سفر فيها ترجمة عربية رسمية لبيانات الجواز .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٣	يونيو ١٩٧٢	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	نس د	س د
السبت	١	٢	٣ ٢	٤ ٤٨	١١ ٤٥	٣ ٢٠	٦ ٤٢	٨ ١٤	٨ ٢١	١٠ ٦	٥ ٣	٨ ٣٧	١ ٣٢
الأحد	٢	٣	٣	٤ ٤٨	٤٦	٣ ٢٠	٦ ٤٣	١٥	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الاثنين	٣	٤	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	١٩	٤	٢	٣٧	٣,٢
الثلاثاء	٤	٥	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الأربعاء	٥	٦	٢	٤٧	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الخميس	٦	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	١٧	٢	١	٣٦	٣٢
الجمعة	٧	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	١٦	٢	١	٣٥	٣٣
السبت	٨	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الأحد	٩	١٠	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاثنين	١٠	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١١	١٢	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الأربعاء	١٢	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الخميس	١٣	١٤	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٩ ٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	١٤	١٥	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	١٥	١٦	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الأحد	١٦	١٧	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٤ ٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	١٧	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	١٨	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الأربعاء	١٩	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الخميس	٢٠	٢١	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الجمعة	٢١	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
السبت	٢٢	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الأحد	٢٣	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٢٤	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٢٥	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الأربعاء	٢٦	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٢٧	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥ ٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	٢٨	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٢٩	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣



مسجد على بن أبى طـــالب

اسمه ونســـبه : على بن أبى طالب بن عبــد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولادته واسلامه : ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وربى فى حجر النبى ، واسلم وهو ابن ثمان سنين ، وزوجه النبى ابنتــه السيدة فاطمة رضى الله عنها ، وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضوان الله عليهم .

جهاده وفضائله : شهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك لأن النبى استخلفه فى أهل بيته ، وكان اللواء بيده فى أكثر الغزوات . وكان أول المبارزين فى غزوة بدر ، وممن ثبتوا يوم أحــد وحنين ، وعلى يديه فتحت خيبر ، وبلـــغ من الشجاعة أعلاها ، ومن العلم مبلغا عز على أمثاله ولا سيما فى القضاء ، وكان من أقدر الناس على الخطابة . عدلا فى حكمه بارا برعيته .

خلافتـــــــه : تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، ومدة خلافته خمس سنوات إلا بضعة أشهر ، واستشهد وهو يهم بصلاة الفجر فى الســـابع والعشرين من رمضان سنة أربعين من الهجــرة عن ثلاث وستين سنة ودفن بالكوفة كرم الله وجهه وأثابه عن الاسلام خير الجزاء .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســا .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الأعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد